سفينة الموت

عبّارة السلام 98

قصة واقعية يرويها الكاتب الصحفي

الناجي محمد آل مشوط

obeikandl.com

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المعاوي، محمد علي ناصر
سفينة الموت (عبّارة السلام ٩٨): قصة واقعية للكاتب الصحفي الناجي محمد آل مشوط/
محمد علي ناصر المعاوي - الرياض، ١٤٣٣هـ
١٩٢ص، ١٤×٢١سم
ردمك: ٦-١٨٠-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١. القصص القصيرة العربية أ. العنوان
ديوي: ٨١٣,٠١
رقم الإيداع: ١٤٣٣/٢٣٨

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ/٢٠١٢م
جميع الحقوق الفكرية والطباعية محفوظة للناشر

الناشر
العبيكان Obeikan
الرياض، ا لمحمدية، طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول
هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس ٤٨٠٩٣١٩، ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرمز: ١١٥١٧
موقعنا على الإنترنت
www.obeikanpublishing.com
متجر العبيكان على آبل
http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan
الرياض، العليا، تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة
هاتف: ٤١٦٠٠١٨ فاكس ٤٦٥٠١٢٩
ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرمز: ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطةن سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكيةن بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيلن أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

obeikandl.com

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

[آل عمران: ١٤٥]

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

[التوبة: ٥١]

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى صاحب السمو الملكي:

الأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز آل سعود

مساعد وزير الداخلية

صاحب الموقف الإنساني النبيل، والعطاء الجزيل، الذي كان له معنا في كارثة غرق عبّارة السلام ٩٨، وقفة ودور بطولي لن ننساه ما حيينا، حيث كان سموه معنا لحظة بلحظة في هذه المحنة، وقام ببذل الجهود، لتذليل كل العوائق التي واجهتنا بعد الغرق، وتلمس كل ما نحتاج إليه، وأمر بتوفيره لنا... حتى عاد كل منا إلى أهله سالماً.

هذا الكتاب... هدية متواضعة لعلها تنال رضاكم يا سمو الأمير، ولعله لا يفي بحقك علينا، ولا يعبر إلا عن شيء بسيط من حبنا لك، وبعض مما تكنّه صدورنا تجاهك من الحب والوفاء[1].

---

(١) في الفصل السادس عشر شيء من الموقف السامي والنبيل للأمير محمد بن نايف في كارثة غرق العبّارة السلام ٩٨.

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتويات

مقدمة ٩

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ ١٣

بداية الرحلة ٢٥

الخروج من الميناء وإبحار السفينة ٣٧

لحظات صبر واختبار والسفينة تحترق... ..... ٥١

لحظات حرجة ٦٥

صراع مع الأمواج من أجل البقاء ٧٣

البرد والظلام وضربات الأمواج ٨١

﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ ٩١

القارب يتمزق والموت يلتقط الأرواح ١٠١

غروب الشمس وصيحة الأمل ١٠٧

سفينة النجاة... أين رفيق السفر؟! ١١٥

دخول مستشفى الغردقة ١٢٩

البحث عن سعود ١٤١

سفاجا ١٤٩

obeikandl.com

العودة للأهل والوطن ١٦٥
موقف نبيل للأمير محمد بن نايف ١٧١
من المسؤول عن الكارثة؟! ١٧٩
الخاتمة ١٨٥

obeikandl.com

مقدمة

تمر السنون، وتهب رياحها على أجسادنا، فتطفئ نور أشخاص، فيغادرون الدنيا، وتشعل شموع آخرين، في عالم لا تحتفظ ذاكرته إلا بما هو مؤلم وحزين، ليقدمه هدية تاريخية لمن يدخل هذا العالم.

عبّارة السلام المصرية التي غرقت عام ٢٠٠٦م لم تستطع عجلة السنين والشهور أن تمحوها من ذاكرة من مسَّته هذه المأساة التي مات فيها ١٠٧٠ نفساً ولم ينجُ من غرق هذه العبّارة سوى ٤١٤ ناجياً، كُتب لهم العيش بعد أن أمضى معظمهم اليوم واليومين والثلاثة بين الحريق والغرق في البحر ومواجهة أمواجه المتلاطمة وشدة برودة مياهه، في ظل تأخر الإنقاذ.

إن (فيلم) فاجعة عبّارة السلام -إن صحت التسمية- أخرج لمن عايشوا هذه القصة الكثير من التساؤلات حول حريقٍ لا ينطفئ، وإنقاذٍ لا يأتي، وقبطان هارب، بعد أن رفض تحرير قوارب النجاة؛ لينجو بها الناس، وملاحين يرفضون توزيع ستر النجاة، ما جعل الغرق في هذه الكارثة يبدو متعمداً.

كَثُر الكلام حول ذلك، وأن السفينة كانت متهالكة، وأن غرقها

فرصــة للحصــول على التعويضــات، أو فرصة لإشــغال العرب عن حرب إسرائيل وجنوب لبنان آنذاك.

الــكلام حول العبّارة، وهل غرقهــا كان متعمداً أم غير ذلك، لن ينفــع من ماتوا، ولكن يظــل حديثاً لم يقفل بعد، حيــث إن المحكمة الكبرى في القاهرة أعادت فتح ملف القضــية من جديد، خصوصاً بعد ســقوط الحزب الحاكم، الذي يعد مالك العبّارة من أعضــائه، كما يعد من أعضاء مجلس الشعب المحسوبين على الرئيس المصري الســابق محمد حســنى مبارك آنذاك، والمعينين مــن قبله، كما أنه مــن خــلال إعــادة المحاكمة بــدأت تظهر أســماء متورطــة في هذه الكارثــة من عائلــة الرئيس المخلوع محمد حســني مبــارك وتورط بعض الأسماء البارزة في حكومة مبارك، كما بدت مؤشرات ودلائل تدل على الاســتهتار والتواطؤ في عدم إنقــاذ ركاب العبّارة وتركهم يواجهون الموت وكأنهم جمادات وبضــائع تجارية يمكن أن تســتبدل بغيرها.

يمكنــك -أيها القــارئ الكريم- أن تقرأ في هذه القصــة تجربةً شخصيةً مكثفةً، كانت فيصلاً في حياة إنسان، قسمت حياته قسمين عاشــهما راوي القصــة، حتى إنه لم تعد حياته ما بعد التجربة، هي حياته ذاتها ما قبل التجربة.

هــذا منظــور يمكــن أن يلامســه مــن يكتفــي بظاهــر القصــة وسطحها.

ولكنها من منظور آخر، هي قصة الخلق، وقصة الحياة والموت الأزلية، حين ترفع يد العناية الإلهية عن بصر الإنسان غشاوته، عبر تجربة نوعية وفارقة، فيستبين له الخيط الرفيع غير المرئي بين الحياة والموت، في لحظة واحدة.

حاولت في هذه القصة أن أسرد كل ما مررت به في هذه الرحلة الكارثية؛ لتكون قصة واقعية حقيقية، تجعل من يقرؤها يعيش معي أدق تفاصيل رحلة عبّارة السلام ٩٨ التي غرقت بتاريخ ١٤٢٧/١/٣هـ الرابع من شهر فبراير ٢٠٠٦ والتي راح ضحيتها ١٠٧٠ نفساً ماتت غرقاً، ولكن يعيشها معي دون غرق أو خوف، ودون أن تتبلل ملابسه بمياه البحر على الأقل.

فاستعدوا للسفر واحزموا حقائبكم...

obeikandl.com

obeikandl.com

﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾

[يس: ٣٦]

الفصل الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

تأتي الأقدار من وراء الغيب، متخفية بأشكال نجهلها، ولا ندرك ما وراءها، ولا ندرك أبعادها، برغم أنها قريبة منا، بل تحيط بنا، ملاصقة لنا، وهذا ما كان شأني، أنا وابن العم والصديق (سعود)، حين فكرنا في قضاء الإجازة خارج المملكة، ولو تحرَّينا الدقة فإنها لم تكن إجازة بمعنى الكلمة، فقد كانت أسبوعاً واحداً لا يكاد يكفي حاجتي من النوم، خاصة إذا كان المرء صحفيًّا -كما في حالتي- لا يكاد يهدأ... حتى يواصل الركض بحثاً عن سبق صحفي أو تحقيق صحفي لقضية أو مشكلة ما، أو كتابة مقال ما، أو بحثاً عبر الحوارات والاستطلاعات الصحفية مع المتخصصين حول ظاهرة اجتماعية أو اقتصادية، تطفو على سطح حياة الناس اليومية، ولم تكن حاجة صديقي أيضاً للراحة والترويح عن النفس تقل عن حاجتي، فهو يجتهد في سبيل تحقيق طموحه العلمي الأكاديمي في الجامعة، يهلك نفسه بحثاً واستذكاراً، وقد كان هذا دأبه منذ الطفولة وعبر مختلف مراحله التعليمية.

نقطة انطلاقنا في هذه الإجازة كانت من محافظة جدة، عروس الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية؛ حيث توجهت إليها قادماً من الرياض، بعد أن كنت أنوي التوجه إلى دولة الكويت لحضور

مهرجان هلا فبراير الشعري، وتغطيته صحفيًّا، ولكن وفاة الشيخ جابر الصباح رئيس دولة الكويت -رحمه الله- غيرت خطتي، وأُلغي المهرجان، فألغيت فكرة السفر إلى دولة الكويت.

فراودتني فكرة الذهاب إلى مقر رئاسة صحيفة عكاظ في محافظة جدة التي أعمل فيها محرراً في القسم الثقافي منها؛ لإنجاز بعض الأعمال التي عادة ما تكون بين الموظف وإدارته، ولتجديد العهد والتواصل مع زملاء المهنة التي امتهنتها مبكراً قبل أن أنتمي إلى قبيلة المعلمين، وأود الإشارة هنا إلى أن عملي في الصحيفة أصبح هواية وعملاً إضافيًّا أحببت ممارسته بجانب عملي الرئيس في قطاع التعليم، ولا أظن الفرق بين المهنتين كبيراً على صعيد الهدف المنشود منهما اجتماعيًّا، فكلتاهما تسعيان وراء تنوير المجتمع، وتزويد أفراده بالمعلومة، والأدوات المعرفية.

في النهاية، ولسبب رئيس آخر جعل جدة وجهتي ونقطة انطلاق رحلتنا، هو وجود الأصدقاء (سعود) و(عامر) و(فالح) فيها، فقررت السفر إلى جدة؛ لقضاء الوقت معهم؛ حيث كان (سعود) وأخوه (عامر) يدرسان في جامعة أم القرى في الدراسات العليا، و(فالح) نسيبهم كان يعمل في قوات الطوارئ هناك، وكانوا يسكنون جميعاً في شقة بحي الرحاب بشمال جدة، وهذه الشقة لا يمكن أن يطلق عليها إلا شقة الضيافة، وأجمل ما فيها سكانها البشوشون الكرماء.

obeikandl.com

جـدة التي تعج بحركـة لا تهدأ ليـلاً أو نهاراً، وبوصـفها مدينة تجارية فإن موقعها ونوافذها البحرية والبرية والجوية التي تستقبل حركة الآلاف على مدار سـاعات يومها وصـولاً ومغـادرةً طيلة أيام العـام، يجعلها المدينة الأكثر تجـدداً وحركةً بين مدن المملكة، وهذا يجعـل مطارها الأكـثر حركة بين مطارات المملكـة، ويجعل إمكانية الحجـز فيه أكثر حظًّا مـن غيره لتكون مركز انطـلاق من أراد أن يسافر خارج المملكة.

وصـلت مطـار محافظة جـدة قادمـاً مـن الرياض، وتوجهت مباشـرة إلى شقة الشباب في حي الرحاب، وأقمت عندهم كالعادة إقامـة جبرية - وديـة- وأخبرتهم بنيتي السـفر؛ للتمتـع بالإجازة خارج المملكة.

أما (عامر) و(فالح) فاعتذرا عن السـفر خارج المملكة بداعي ارتباطهما في بيشـة؛ حيث كانت عائلتاهما الصـغيرتان تقيمان في بيشـة، وسيذهبان لهما، فكلاهما لا يزالان يعيشان السنوات الأولى من الزواج، وليسا مثلي أنا و(سعود) اللذين لا تزال الحياة الزوجية عندنا مجهولة، ولا نزال نعيش حياة العزوبية.

أيّد (سعود) السفر معي، وأخذنا نفكر: أين سنسافر؟

وأصـبحت خيـارات أماكن قضـاء الإجازة مثار جـدل حيوي لا يهـدأ، فبعد أن ألغيت سـفري إلى الكويت لم يعد لدي وجهة معينة، وفجأة قفزت مصـر إلى ذهن (سـعود) خياراً بديلاً أفضل من كل

الوجهـات الأخرى، ووجدت الفكرة صـدى مريحاً في نفسـي، فهي عندي مصـر الآثار التاريخية، والمكتبـات العريقة، وقرى الفلاحين الطيبـين، بشـهامتهم وبأخلاقهـم الكريمـة، ومعرض الكتـاب والحوارات الثقافية الثرّة على هامشـه، وشيء آخر ربما كان له أثر مباشـر في ارتياحي نفسـيًّا بأن تكون مصـر بديلاً مناسـباً لقضاء إجازتنا فيها، حيث إنني في سـنوات ماضـية استأجرت أنا وصديق الطفولة والدراسـة (عبدالرحمن) مزرعة في مسقط رأسي بيشة، وكان يجاورنـا فلاح مصـري يعمـل في المزرعة التـي بجوارنا، وهو رجل تتجسد فيه كل سمات الفلاح المصري البسيط وخصاله، رجل على الفطرة، هادئ الطبع، متدين، كنا نرتاح كثيراً لصحبته، وكان هو يبادلنا الشـعور نفسه، كنا نستمع بشغف إلى حكايات الفلاحين ونوادرهـم التي يحكيهـا بحب، وكأنه يسـترجع الأشـخاص الذين فارقهم، والأمكنة التي باعدته ظروف العمل عنها.

شـيء مـا كان يأسـرك وأنت تسـتمع إليـه في هـدوء الليل، بين أشـجار النخيل التي أغفت مستسلمة لأحلامها، وهو يستدعي صور تلـك الحكايات المصـرية الجميلة مـن ذاكرته، فتـكاد ترى أطفال قريته وهم يلعبون بين أزقة بيوت الفلاحين، ونسـاءهم النشـيطات وهن يجلسـن بين أعواد القمح، ويقطفن كرات الطماطم الحمراء، والملوخيـة والجرجير، وهن متضـاحكات يتبادلن النـكات العفيفة البريئة.

وأيضـاً كان يتحدث بغرام عن جودة الطبخ والمأكولات المصرية ولذتها... باختصـار، لقد زرع (العم سـلامة) بشخصـيته الطيبة وبحكاياته الجميلة في نفوسـنا حب مصـر، وكشـف لنا عن مصـر الأخـرى، مصـر الفلاحين التـي أحسسـناها قريبة إلى نفوسـنا، وليست مصر التي شـوهتها الأفلام المصرية، وصورتها كأنها غابة مليئـة بالجرائم، كما هي مليئة بالفسـاد والرقص والنهب، وركّز غراس هذا الحب الذي تولد فينا جمال بعض التقاليد الاجتماعية، وتشابه البيئة الزراعية التي نعيش مثلها في بيشة، فبيشة، وخصوصاً عندما كنـا أطفالاً، كانت جنات خضـراء، وأشـجار نخيل باسـقة جميلـة، ولكنهـا في الآونة الأخيرة تعرضـت لموجة جفـاف أفقدتها ثلثي مسـطحاتها الخضـراء، فكان عندما يحدثنا (العم سـلامة) عن حقول مصـر كأنه يصف لنا بيشـة قبل نحو خمسة عشر عاماً، عندما كنا أطفالاً.

أذكـر هنا أن حلمـاً راودني في المنام قبل سـنوات، وربما بتأثير من حكايات (العم سـلامة)، ولكـن الغريب في الأمر أن الحلم كما لـو كان ليلة أمـس. ففي حلم تلـك الليلة رأيت نفسـي نائباً لرئيس الجمهورية يومها محمد حسـني مبارك، وكان هو في رحلة رئاسية، ومـن ثم كان لا بد أن أتحمل مسـؤولية الرئاسـة في غيابه، إلا أنني اتصـلت به هاتفيًّـا طالباً إعفائي من المنصـب ومسـؤوليته، ولكنه رد عليّ بصـوت آمر وبحسـم بالرفض، قائلاً لي: «ابقَ، كلها أربعة

أيام وراجع»، بعدها بقليل جاءت سيارة رئاسيّة، وأخذتني في جولة تفقدية إلى قرى الفلاحين وحقولهم ومزارعهم التي بدت لي في ذلك الحلم رائعة وساحرة الخضرة، ولا أجد الآن، مثلما لم أجد عند يقظتي تفسيراً لهذا الحلم، هل هو بتأثير من حكايات (العم سلامة)، أم أنه كان مؤشراً لما سيحدث فيما بعد، وما حدث على العبّارة المصرية!، الله وحده يعلم.

على كلٍّ، لم تكن مصر في وارد الخيارات الرئيسة بالنسبة لي، ولكن فكرة السفر إليها وجدتْ صدى في نفسي؛ للأسباب التي ذكرتها؛ إلا أننا بعد أن اتفقنا على أن نقضي الإجازة الصغيرة في مصر، فشلنا في إيجاد حجز جوي، ولم يفاجئنا هذا كثيراً؛ حيث كان موعد سفرنا يصادف عودة الحجاج المصريين إلى بلدهم في آخر شهر ذي الحجة، وأيضاً سفر العديد من السعوديين؛ لقضاء العطلة في مصر، وذهاب المعلمين المصريين المتعاقدين؛ لقضاء الإجازة في بلدهم.

حاولنا، وبحثنا عن حجز طيران بشتى الطرق كان ذلك يوم الخميس، واستعنا في ذلك بعلاقاتنا للحصول على حجز مؤكد للسفر، واشترك معنا أيضاً الأصدقاء في البحث، فقفزت إلى ذهني فكرة البحث عن بلد بديل؛ لنقضي فيه الإجازة، وطرأت في أثناء ذلك فكرة التوجه إلى (جاكرتا) عاصمة إندونيسيا، وفعلاً توجهت إلى أحد مكاتب السفريات، فكان أقرب حجز مؤكد على

الخطوط الجوية السعودية إليها هو يوم الثلاثاء، وكان (سعود) في هذه الأثناء يواصل جهوده واتصالاته؛ للعثور على حجز جوي إلى القاهرة، فوجد رحلة تقلع في نهاية الأسبوع الثاني يوم الجمعة عن طريق (جدة - عمان - القاهرة)، ولكنها لم تكن تتناسب مع قِصَرِ الإجازة؛ لذا لم تأخذ وقتاً طويلاً في مناقشاتنا، فاستبعدناها من قائمة الخيارات، كما قمنا بإلغاء الحجز إلى جاكرتا؛ لبعدها وطول وقت السفر إليها وقصر مدة الإجازة.

وفي تلك الأيام كنت أتردد على المقر الرئيس للصحيفة في جدة، وتحديداً مقر القسم الثقافي، وكنت حينها أستحث الزملاء على البحث معي عن حجز جوي إلى مصر، وهكذا كلمت الزميل والصديق طالب بن محفوظ بأن يشفع لنا عند شقيقه الموظف في الخطوط الجوية السعودية، علّ وعسى أن يوفقه الله بالعثور على حجز لنا، ولكنه لم يجد.

وفي أثناء سعيي هذا اقترح علي الزميل نضال قحطان اقتراحاً استبعدته حينها، إلا أنه كان بالفعل هو الاقتراح المناسب، ولكني أدركت هذه الحقيقة بعد فوات أوان العمل بها، حيث اقترح علينا ألا نتعب في البحث عن حجز مؤكد، قائلاً: «توجهوا إلى المطار من فوركم، وستجدون مقاعد على أي طائرة متوجهة ليس إلى مصر وحدها، بل إلى أي مكان في العالم»، وكان يقصد أننا سنجد مقاعد خالية عبر كاونتر الانتظار للركاب المتخلفين عن الرحلة.

ولكننا لم نشغل وقتها أنفسنا بالتعامل بجدية مع هذا الرأي، برغم أنه اتضح لنا فيما بعد مدى جدواه!

أغلقت الأبواب أمام خيار قضاء الإجازة خارج المملكة، ففكرنا في قضائها بجدة مرة أخرى، إلا أن جدة لم تعد مجدية، حيث إن (عامراً) و(فالحاً) سافرا إلى بيشة، وأصبحت الشقة شبه خالية. كما أن الصديق عبدالله عبيان الذي كان همزة الوصل بين كثير من الأصدقاء كان في رحلة مع الوفد الصحفي الذي يرافق خادم الحرمين الشريفين في رحلته إلى دول شرق آسيا، وأذكر أني أرسلت له بالجوال أبياتاً نبطية، وقد أخبرني لاحقاً بأنها أتعبته كثيراً بعد علمه بغرق العبّارة وهذه الأبيات للشاعر سلطان الهاجري، وأنا أعتبرها من أفضل ما قيل في السؤال عن الصديق، وقد حرفتها بتصرف من دبي والعين إلى الهند والصين، ولعلنا -نمون- على أبي وسام في التعديل والتصرف الحبي، فأرسلت له:

(بالله يا أهل الهند.. ولا هل الصين)

من قال يبشر به عطيته بشارة

المهم باتت جدة غير مجدية لقضاء الإجازة فيها، فالمدينة تعمر وتحلو بمن تحب، لا بمبانيها ولابملاهيها، وبقينا أمام أحد خيارين: إما أن نعود إلى بيشة، ونلغي فكرة السفر، وإما أن نبحث عن حجز مؤكد إلى مصر، وفي أثناء ذلك طرأت علينا فكرة السفر بالعبّارة إلى مصر، ولكننا لم نكن مقتنعين بها فعليًّا، كان ذلك يوم الاثنين،

وفي اليوم اللاحق الثلاثاء ذهبنا للتسوق في سوق المحمل جنوبي غرب جدة، ووجدنا أنفسنا في أثناء جولتنا بالقرب من أحد مكاتب حجز العبّارات (السفن)، فتوجهنا إلى المكتب؛ للحجز على أقرب باخرة.

قال لنا الموظف، وهو يرسم على وجهه ابتسامة عريضة: لا تحتاجون إلى حجز -لحسن حظكم-، فالعبّارة التي ستغادر يوم الخميس يوجد فيها أماكن شاغرة.

قلنا: ومتى ستبحر، بإذن الله؟

فأجابنا: بأنها ستبحر عند العاشرة صباحاً، وعند السادسة مساء ستكونون في مصر.

وقبل أن نغادره استوقفَنا، وهو يقول: إذا كنتم لا تريدون السفر على هذه الباخرة لأي سبب من الأسباب، فهناك اللنش السريع سيغادر إلى مصر يوم الجمعة.

سألناه: وفي أي ساعة سيغادر؟

فأجاب: في الثانية ظهر الجمعة، وهو سريع لا يستغرق سوى ثلاث ساعات ليصل إلى سفاجا.

شكرناه، وخرجنا من المكتب، ونحن نفكر، ونعيد التفكير في السفر بالباخرة، ولكنا استبعدنا خيار اللنش بشكل نهائي؛ حيث إن يوم الجمعة مستبعد من قبل لقِصَر مدة الإجازة، والعبّارة ستبحر قبله بيوم، وهذا لا يلزمنا في إجازة قصيرة مثل هذه، ومن ثم عدنا للشقة، ونحن لم نقرر بشكل نهائي السفر بحراً، ولا نزال مترددين.

عدنا إلى شقة الرحاب التي باتت خالية، بعد أن سافر الشباب إلى بيشة، وتركوا فراغاً واضحاً، وفي اليوم اللاحق يوم الأربعاء استيقظنا من النوم، وكنا في حاجة إلى حسم الموضوع، ولم يكن لدينا حينها خيار مطروح دون عوائق سوى العبّارة، فأصبحت نية السفر بالعبّارة حاضرة، واتفقنا على أن ننطلق الساعة التاسعة ليلاً؛ حيث نصل في الصباح إلى ضباء، ونأخذ (كابينة) خاصة، وننام فيها.

بدأ كل منا يجهز حقيبته وحوائجه. خرجت بعد صلاة المغرب إلى الحلاق، ثم أجريت اتصالاً بصديق الطفولة (عبدالرحمن) الذي كنت أسافر معه دائماً، وكنا نخرج سويًّا منذ كنا في سن الحادية عشرة، وهو الذي تكونت عنده صور مشابهة للتي عندي من حكايات (العم سلامة) الذي كان جارنا في المزرعة، ولكنه اعتذر عن عدم الذهاب معنا، فقد كانت له ارتباطات عملية واجتماعية لا يستطيع تأجيلها، وقبلها اعتذر صديقاي سياف وأبويحيى عن عدم السفر في هذه الإجازة، وذلك عندما كنت في الرياض، واعتقدت باتصالي بـ(عبدالرحمن) بالتحديد أنه سيذهب معنا، ولكن حدسي لم يصدق، وكان هناك أصدقاء كثر أيضاً، قريبون من القلب، لكنني لم أتصل بهم، واتصلت فقط بمن توقعت منهم الموافقة على مرافقتي في هذا التوقيت.

obeikandi.com

بداية الرحلة

الفصل الثاني

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

بدأت إجـراءات الاسـتعداد للسـفر؛ حيث ذهبت لشـراء بعض الحاجيـات، وفي الطريـق مـررت بمطعـم قريـب منا يجيـد طهي (المظبي) والأرز، فأخذت عشاءً يسد جوع اثنين آخرين معنا؛ حيث وددت ألا نتوقف في الطريق إلا لتعبئة الوقود فقط، وذلك لكي نلحق بالسفينة قبل إبحارها.

أخـذت العشـاء، وتوجهت للشـقة، ووجـدت (سـعوداً) قد عاد حينهـا، تناولنا العشـاء وحمّلنـا حقائبنا في السـيارة، وكان هناك شيء مهم بالنسـبة لنا نحن الاثنين، وهو يعادل أهمية حقائبنا؛ ألا وهو (ترمس) الشـاي الذي وضـعناه بيننا، ومن ثم انطلقنا بعد أن قرأنا دعاء السفر -ولله الحمد-.

كانـت المسـافة بـين جـدة وميناء ضـباء تبلـغ نحـو ١٥٠٠كم، وتسـتغرق بالسيارة نحو عشر سـاعات، وقد تأخرنا قليلاً في جدة؛ لفحص السـيارة وشـراء بعض الحاجيات التي أخرتنا إلى الساعة العاشـرة والنصف مسـاءً، والغريب في الأمر هو سـعادتنا بالسفر وسرورنا الشديد به، ولست أعرف سبب هذا السرور الكبير، ولعلها فرحة انتهاء فترة الحيرة وبداية اتخاذ القرار.

كانت الأمور تسـير بشـكل مثالي، حين انطلقنا تلـك الليلة، ليلة

obeikandl.com

الأربعـاء، فمنـذ اللحظة التي اتخذنـا فيها قرار السـفر بالباخرة، وبدأنا نجهّز أنفسـنا للتوجه إلى ضـباء، كانت كل تحركاتنا تتسـم بالسلاسة والسـهولة، حتى الطريق الساحلي بين جدة وضباء الذي اشـتُهر بكثرة الإبل التي تعبره ليلاً متسـببة في الكثير من الحوادث التي راح الكثيرون ضـحايا بأسبابها، كان الطريق وكأنه خالٍ منها، وكأن الرعاة قرروا ليلتها الإضراب عن الرعي، وكان المناخ -على غير العادة في مثل تلك الأيام من السـنة- معتـدلاً؛ بل في غاية اعتداله، فلا مطر ولا برد قارص ولا غبار، ولا شـيء مما يكدر مسـار رحلتنا التي اتخذنا فيها طريق الساحل (جدة - المدينة - ينبع - ضباء).

وبعد أن تجاوزنا محافظة ينبع بمسـافة، أشـرقت علينا شـمس صـباح يـوم الخميـس، وكان طريقنا يسـير بموازاة البحـر، وكان المنظـر جميلاً جدًّا حينها، وخصوصـاً على شـواطئ بكر؛ لم يغير ملامحها البشـر، وكنا نتمنـى أن نبقى على هذه الشـواطئ قليلاً، ولكـن خشـينا أن تفوتنـا العبّـارة؛ حيـث كان البحر هادئاً بشـكل واضـح، وللمرة الأولى أرى شجرة السمر تعيش على شاطئ البحر، وهي شـجرة صحراوية مشهورة، تكثر عندنا في بيشة، وهذا المشهد اسـتوقفنا لغرابته، ومن ثم واصـلنا هذا الطريق الجميل بمناظره وهدوئـه، حيث لم يكـن الطريق أيضـاً مزدحماً، حتى وصـلنا إلى محافظة ضباء قرابة التاسعة والنصف صباحاً بيسر وسهولة.

وقلقنـا أن تكـون العبّارة أبحـرت، أو أن تكون ممتلئـة، ولما كان

موعـد إبحار العبّارة حسـب ما أعلمنا موظف الشـركة في جدة في العاشـرة صـباحاً؛ فقد أخذنا طريقنا إلى الميناء ركضاً؛ إذ لم يبقَ على إبحارها سوى نصف الساعة، أخذنا طريقنا إلى مكتب الحجز لاهثـين، ووجدنـا أمامنا طابوراً بسـيطاً مـن المسـافرين. حاولت الاسـتعجال وعدم الانتظـام في الطابـور، وأنا أقـول للموظف: «لو سمحت العبّارة بتفوتنا، سـفينتنا على وشك الإبحار»، ولم أعلم أن كل هـؤلاء الذين في الطابور سـيركبون معنا على مـتن العبّارة، وأن موعد الإبحار قد تأخر.

فرد الموظف: ستدرك العبّارة، فلا داعي للقلق.

كانت أعداد المسـافرين كبيرة في ميناء ضـباء ما يشـعرك بأن هناك أكثر من سـفينة ستبحر، ولم نكن نتوقع أن كل هؤلاء الركاب هم معنا في سفينتنا نفسها.

قبل أن نصـل الميناء اتصـلت بأحد العمال المصـريين في بيشة، وهو ابن العم سـلامة، ويدعى أسـامة، حيث كنت أود أن أسأله عن العبّارة؟ وما أفضـل أدوارها وكبائنها؟ فذكر لي أن أفضـل ما فيها هو الغرفة الخاصة في الدور الأول.

وصـل دوري في الطابـور أمـام الكاونـتر، واشـتريت التذاكـر، وحجزنا غرفة خاصـة مكونة من سـريرين، وسريعاً أخذنا طريقنا إلى مبنـى المغادرة الذي كان مكتظًّا بالناس، يتحركون هنا وهناك، يتخبط بعضـهم ببعض والذي أصبح كخلية نحل تعجّ بالحركة التي

لا تهدأ، ولكن على شيء من الفوضى التي يثيرها أي تجمع بشري في مثل هذه الأحوال.

كانت الصالة تعجُّ برنين الجوالات، حيث لكل مسافر من ينتظره، ويسأله: متى يصل؟

ولك أن تنظر لعدد كبير من العاملين المصريين الذين يعملون في المملكة، وقد بان على أعينهم الشوق إلى أهاليهم، خصوصاً المزارعين منهم، وهم الفئة التي تعمل برواتب بسيطة في المملكة، وتكون مدة غربتهم خارج وطنهم طويلة؛ حيث إن بعضهم يمضي عليه العام والعامان؛ لكي (يحوش قرشين) يسد بهما رمق أسرته، ويحقق بعض طموحاته، فكنت أرى غالب الركاب منهم، أولئك الذين يلبسون الجلابية المصرية والطاقية المصرية الجميلة، والسفر بالعبّارة أيضاً يعد بالنسبة إليهم أقل بكثير من السفر بالطائرة، فهو مناسب لهم ولرواتبهم البسيطة.

أيضاً كان من ضمن المسافرين على هذه الرحلة عدد كبير من العائدين من الحج، ولك أن ترى هدايا الحجاج بارزة في أروقة الصالة، ولعل بعضها متشابه، وكأنهم اتفقوا في التسوق، وفي شراء الهدايا من سوق واحدة، فلا يكاد يُفرّق بينها؛ لتشابهها.

وأيضاً لعل هذه السفرة عند بعض هؤلاء الحجاج هي الأولى التي يخرجون فيها من بلدهم (مصر)، فتجعل شوقهم كبيراً، وعواطفهم جياشةً للعودة إلى بلدهم.

الصالة كانت تفوح بأشواق المسافرين لمقابلة أهاليهم وأحبابهم في الجهة الثانية من اليابسة، ولولا البحر الذي يفصل بينهم لامتطى بعضهم قدمه وحنينه لأهله، بدلاً من الانتظار وسط هذه الزحمة الهائلة في صالة الانتظار؛ حيث وصل عدد المسافرين على هذه الرحلة إلى ١٥١٤ مسافراً.

أنجزنا حجزنا، ولم يعد لدينا ما نفعله غير الصعود إلى الباخرة، وأخذنا قسطاً من الراحة على مقاعد صالة المغادرة في انتظار الصعود إلى الباخرة؛ حيث كنا في حاجة إلى شيء من الهدوء بعد عناء رحلتنا الطويلة من جدة على مدى ساعات طويلة من القيادة، إلا أننا فوجئنا عند الساعة الثانية عشرة بأن الناس يخرجون من الصالة متذمرين، وعندما سألنا أحدهم؟

قال: تم تأخير الرحلة، وعندما سألنا الموظف المسؤول؟ قال: إن موعد الإبحار قد تأخر إلى الرابعة عصراً.

لم نجادله كثيراً؛ لأن الأمر في نهايته لا يعود إليه، فهو مجرد ناقل، فتوجهنا بالسيارة إلى مطعم بالقرب من الميناء، وتناولنا وجبة الغداء والذي كان ممتلئ بالزبائن، وكان مطعماً بخاريًّا؛ إلا أن الشيء الذي خفف من وطأة الاستياء من هذا التأخير غير المحسوب، كان عاملاً طبيعيًّا غير متوقع أيضاً، حيث تجمّع السحاب مخفيًّا الشمس وراءه، وأخذ المطر يهطل خفيفاً ليصبح الجو جميلاً، ولعل فرحنا وانشراحنا بهذا التغيير المناخي كان له

تأثير في التخفيف من إحباطنا الناجم عن تأخير الرحلة، خصوصاً أن المطعم كان مجدراً بالزجاج؛ حيث إننا نرى ما خلفه، مما جعلنا نستمتع ونطيل البقاء في المطعم، ومن ثم عدنا إلى الميناء حوالي الثانية والنصف ظهراً لنبحث في مواقفه عن مكان ملائم لسيارتنا، حيث قررنا أن نتركها في الميناء، ونسافر إلى مصر من دونها، ومكثنا فيها لنأخذ قسطاً من الراحة ريثما تتحرك الباخرة.

لم نشعر بالراحة في النوم في السيارة، فاستقر رأينا على العودة إلى صالة المغادرة لنحاول إقناع مسؤول الكاونتر أن يسمح لنا بالصعود على ظهر العبّارة، خاصة أننا مسافران من دون عفش، وليس معنا عائلة، وكانت الصالة -كما يمكنك أن تتوقع- مكتظةً، وتعجُّ بالأصوات والضوضاء؛ حيث إن عدد ركاب الباخرة بلغ ١٥١٤ راكباً، وكان مؤشر ساعة الصالة يشير إلى الثالثة، ولم يتبقَّ سوى ساعة على موعد الإبحار حسب الموعد الجديد.

وجدنا موظفاً سعوديًّا فشرحنا له وضعنا، وأخبرناه بأننا لا نحمل معنا سوى ما بأيدينا، وهي حقيبة واحدة لكل منا، وليس معنا عفش، فتكرّم مشكوراً بالسماح لنا بالصعود، فكنا أول الصاعدين على ظهر الباخرة، قرابة الرابعة عصراً من يوم الخميس ١٤٢٦/١/٣هـ الرابع من شهر فبراير٢٠٠٦.

وعند مرورنا في الطريق إلى الباخرة كنا نجد السير صعباً وسط جبال من الحقائب والحاجيات التي كانت مغلقة ومغلفة جيداً

وعليها أسماء مدن وأرقام جولات وعناوين منازل، وهذا لا يكون مستغرباً في ظل وجود أكثر من ١٥٠٠ راكب، منهم ١٤٠٠ مصري، كل واحد منهم يحمل معه على الأقل إضافة إلى أغراضه الخاصة هدية أو هديتين لأحبته وأهله هناك في مصر، ولعل كل واحد أيضاً قد تقصّى في اختيار الهدية وتغليفها غاية الجهد؛ لكي تصل سالمة معه إلى أهله هناك.

صعدنا الباخرة عبر ممشى ليس به سلم (درج)، ولعل هذا الممشى في الأصل مخصص لنقل البضائع وليس للركاب، حيث كنا نرى الشاحنات والرافعات تدخل وتخرج في السفينة، حيث إن مؤخرة السفينة كانت مفتوحة ما يسهل إركاب السيارات والبضائع فيها، وصعدنا نحن على ممشى جانبي أملس مائل للأعلى وكأنه لصعود عربات العفش، أخذنا في الصعود، وكنا من أوائل من ركب الباخرة.

كانت أمامي سيدة تصعد إلى الباخرة، ولم تلبث حتى رأيتها تسقط نحوي، وترتطم بالأرض محدثة صوتاً قويًّا؛ حيث تزحلقت من جراء أرضية المصعد الملساء، وكأن هذا مع عدم التنظيم في صالة المغادرة، وتأخر الإبحار مؤشر إلى عدم الاهتمام والعناية بالباخرة وركابها، وبالميناء عموماً، نهضت السيدة دون أن تصاب بأذى، وفتحت لنا الطريق في الصعود حتى دخلنا الباخرة، وأخذنا نبحث عن غرفتنا بعجلة؛ حيث كنا نريد أن ننام، فنحن مرهقون جدًّا، ولم ننم منذ يوم الأربعاء.

وفي أثناء جولتنا للبحث عن غرفتنا صادفتنا امرأة خمسينية على الأرجح، تبحث أيضاً عن غرفتها، متثاقلة بحمل (شنطة) كبيرة، كنت أريد أن أعرض مساعدتي عليها، ولكنها بادرت بطلبها مني، وسألتني أن أساعدها على حمل الحقيبة التي لم يكن حجمها يشير إلى وزنها، فظننتها خفيفة الوزن، ولم أكد أرفعها عن الأرض حتى أدركت مدى تورطي، فقد كانت ثقيلة بشكل غير متوقع، وكأنها هربت بها من ميزان العفش بالميناء، وكدت أسألها ما إذا كانت تحمل في شنطتها شخصاً ما!

لم يكن ثقل الحقيبة وحده هو مشكلتي الوحيدة في تلك اللحظة، ولكن المرأة راحت تبحث عبثاً عن غرفتها، وأنا أجرجر أقدامي خلفها تحت ثقل الحقيبة من مكان إلى آخر، حتى يئست من إيجاد غرفتها، وأخذت تنتظر لعل هذه القلعة المليئة بالغرف يكون فيها موظف يدلها أين تقع غرفتها؟

(سعود) الذي لم يكف عن البحث كان قد عثر على الغرفة بعد بحث مضنٍ، دخلنا الغرفة ففوجئنا بأنها غرفة صغيرة وضيقة للغاية، قفصاً كانت أكثر منها غرفة مزدوجة لشخصين، إذ لا تتجاوز مساحتها أربعة أمتار مربعة، وبرغم ذلك فقد كان فيها سريران صغيران أحدهما فوق الآخر في هذه المساحة الضيقة، ولم يكن أمامنا غير التعليقات الساخرة من حال الغرفة، فليس ثمة من تشتكي إليه أو تحتج عنده، كما أن الاحتجاج غير مجدٍ، ولن يغير

من الأمر شـيئاً، فاستسلمنا للواقع، ولم نكد نسلم رأسينا للفراش، (سعود) وأنا، حتى استغرقنا في النوم من شدة التعب والإرهاق.

obeikandl.com

obeikandl.com

الخروج من الميناء وإبحار السفينة

الفصل الثالث

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

بدأ الركاب في صعود السفينة، وبدأ كل منهم يتجه حسب حجزه، فهناك من هم في غرف خاصة مثلنا، وهناك من هم على مقاعد السطح، وأبحرت السفينة قرابة السابعة مساءً، وبدأت تشق طريقها في البحر متوجهة إلى ميناء سفاجا، وكنا حين إبحارها نائمين، ولم نشعر بإبحارها من شدة التعب والإرهاق من أثر السفر منذ ليل الأربعاء.

استيقظت من النوم الساعة الثامنة والنصف مساءً؛ حيث نمت قرابة أربع ساعات منذ الساعة الرابعة والنصف عصراً، وحين استيقظت توضأت وخرجت لأداء صلاة المغرب والعشاء قصراً وجمعاً، وخرجت من الغرفة إلى أحد الممرات الكبيرة حيث وجدت جمعاً من المسافرين يصلون جماعة، أخذت موقعي بينهم، وبعد أداء الصلاة وتبادل التحايا والأحاديث مع بعض المصلين، أخذت أتجول في الباخرة، وأخذت طريقي إلى مطعم الباخرة الذي لم يكن بعيداً من غرفتنا، حيث إن الجلوس فيه يعد أفضل من جلسات السطح المطل على البحر الذي لم تكن تسمع فيه سوى أصوات أمواجه وهي تضرب جانب السفينة، وصوت محركات الباخرة التي تشقّ طريقها بين الأمواج، ولعل الهدوء النسبي في المطعم،

ورائحة الطعام، وحركة بعض مرتاديه تعطي جو المطعم شيئاً من الدفء، فالجو خارجه كان بارداً للغاية، وفكرت أن أعود إلى الغرفة وأصطحب (سعوداً) معي إلى المطعم؛ للتمتع بالجلسة فيه بدلاً من جو الغرفة الخانق والسطح البارد.

كانت السفينة كالمدينة المتحركة، مليئة بالركاب والحركة، فالأطفال يلعبون مع بعضهم في جو من المرح، كأنهم في منازلهم، وترى الشيوخ في دوائر يتحدثون مع بعضهم بعضاً، وآخرين يأكلون، وآخرين نائمين على الأرض؛ بل إنني وجدت مجموعة من الشباب يلعبون لعبة الورق (بالوت أو لعبة تشبهها)، المهم كانت السفينة تبحر بشكل انسيابي ما يجعل من بداخلها ينسى أنه في البحر، ويجعله يعد الساعات السبعة ليصل إلى ميناء سفاجا؛ حيث إن الزمن الموضوع للرحلة سبع ساعات للوصول من ميناء محافظة ضباء السعودية إلى ميناء محافظة سفاجا المصرية.

عدت إلى الغرفة، فوجدت (سعوداً) لا يزال يغطّ في النوم، فأخذت أغيّر ملابسي استعداداً للخروج، بعد أن يستيقظ (سعود)، ولما كنت حريصاً على عدم إيقاظه من النوم؛ لأن جسده كان بالفعل في حاجة إلى ذلك بعد (المشاوير) المرهقة من ليلة أمس حيث لم نرتح قط، وخصوصاً أنه الذي كان يقود السيارة طيلة السفر، ألقيت ظهري على السرير، وأخذت أقلب جوالي، وأشاهد مقاطع الفيديو المسجلة عليه.

وبينما أنا لاهٍ مع شاشة الجوال وصوره استيقظ (سعود) فجأة من النوم، وهو يقول منزعجاً: «فيه رائحة دخاااااان!»،

وكأنني كنت أنا النائم وليس هو، حينها تهادت إلى أذني أصوات صراخ في الخارج يختلط بعضها ببعض، وكلها تردد: «حريقة»، وكنت أسمع هذه الكلمة باللهجة المصرية، وكأنها الآن.

فانطلقت مندفعاً إلى الخارج مستطلعاً ما يحدث، والتفتّ قبل خروجي إلى (سعود) وأنا أقول له: «لا تقلق، سأخرج لأرى ما الذي يحدث، وأعود حالاً».

كانت الساعة حينها قرابة التاسعة، اندفعت متجهاً تجاه الممر الذي كنا نصلي فيه، ووجدت جمعاً من الناس هناك، بينما دخان يخرج من أسفل الدرج الذي يقود إلى الكبائن السفلية في الدور الأرضي، والناس يخرجون من مكان الدخان إلى الخارج، ويهربون، ويصيحون بجزع ورعب: «حريقة... حريقة».

لم أستوعب حجم ما يحدث أسفل الدرج بشكل معقول، ولكنني أصبت بشيء من الدهشة الممزوجة بالرعب، كان منظر الناس وهم يتدافعون بخوف ورعب من أسفل الدرج إلى السطح مشهداً يثير غباراً من التساؤلات الحارقة!

ولكن عبثاً كنت أحاول أن أجد إجابة منهم، فقد كانوا يهربون بجنون تجاه سطح السفينة، ولم يكن حجم الخطر واضحاً في ذهني

لحظتها؛ لذا كنت أسأل من يمرون بي مهرولين عمّا يحدث أسفل السفينة؟ ولكنني لم أتلقَّ من أحد أي إجابة واضحة.

الجميع كانوا يسعون هاربين إلى السطح، فأخذت طريقي إلى الغرفة، وأنا مندهش من هذا الرعب الذي انتشر بين الركاب بسبب الصوت الذي تسبب فيه قاطنو الطابق الأسفل، الذين كانوا حينذاك أقرب الركاب إلى موقع الحريق؛ حيث كانوا يصرخون، ويهربون إلى سطح السفينة.

عدت إلى الغرفة، وأنا لم أستوعب الوضع بعد، ما بين مصدق ومكذب، كان الموقف هائلاً، وخصوصاً أننا للمرة الأولى في حياتنا نركب باخرة، وكنت أمشي بهدوء سارح الذهن، وأنا أحدث نفسي: «معقولة؟! معقولة سنموت هكذا، بهذه السهولة كل شيء ينتهي؟!».

وعندما عدت وجدت (سعوداً) في انتظاري، وسألني:

- ماذا يحدث في الخارج؟ وما المشكلة؟

- فقلت له وأنا أبتسم: «شكلها الليلة تايتنك»، في إشارة لقصة غرق باخرة الركاب الأشهر في التاريخ.

ولكن شيئاً ما دفعني لأن أسترسل قائلاً: «لكني أشعر بأنَّ موعد الموت لم يحن أجله بعد، ربما مرة أخرى، في وقت وظرف آخر، لكنه لم يحن بعد».

ثم قلت، وأنا أضحك: «باقي شويه في العمر».

obeikandl.com

فيما بعد، وحين تذكرت هذه الكلمات رحت أسأل نفسي: «كيف قلتها؟ ولماذا قلتها في تلك اللحظات تحديداً؟»، ولم أتوصل إلى إجابة عن تساؤلاتي إلى الآن.

ثم قلت لـ(سعود): «ارتدِ ملابس ثقيلة؛ فالجو في سطح السفينة بارد جدًّا».

وبالفعل أخذنا نلبس ملابس ثقيلة، وخصوصاً أن ملابسي كانت خفيفةً؛ حيث كنت أنوي أن أوقظ (سعوداً)، ونذهب إلى المطعم الذي كان حينذاك دافئاً جميلاً هادئاً (هيهات).

وبالفعل، لبسنا، وخرجنا من الغرفة نتبع الركاب في الصعود إلى السطح الذي وجدناه مكتظًّا بالناس، نسأل أحد ملاحي السفينة عن حقيقة ما يحدث؟ فيقول أحدهم: «حريقة بسيطة»، وهذا لسان حال معظمهم، ويبدو أن هذا أشاع شيئاً من الطمأنينة بين الركاب، ولكن صوت مكبرات الصوت التي تنادي على أفراد الطاقم الطبي للباخرة، وتبلغهم بالتوجه هنا وهناك لإسعاف الحالات الطارئة، والدخان المتصاعد كان يشير إلى عكس ما ينطقون به، وما يبررونه للركاب.

عندما صعدنا إلى سطح السفينة رأينا الركاب متجمعين هنا وهناك، الكل يسأل: «ماذا يحدث؟!»، وضجيج أصواتهم لا يجعلك تفهم شيئاً مما يقولون، يلتفتون هنا وهناك ويمر بيننا الملاحون، وهم يسعون، ولا ندري إلى أين هم ذاهبون.

مضـينا نمشي بين الركاب؛ لنجد مكاناً نجلس فيه، حتى وجدنا جمعـاً من الشـباب المصـريين، سـلمنا عليهم مشـافهة، وجلسـنا بجوارهـم، وما لبثنا حتى صـلينا صـلاة الاسـتغاثة بـالله، فقمت أنا و(سـعود) وصـلى بنا شـابّ مصـري من هذه المجموعة صلاة الاسـتغاثة، حيث صـلينا ركعتـين دون دعـاء قنوت، ولعـل ثقافتنا الدينية حينها لم تسـعفنا في معرفة كيفية صـلاة الاستغاثة، ولكن كنـت أذكر من بعض القصـص العالقة في ذهني عمن يقع في أزمة أو مصـيبة كبيرة، فإنه يصـلي ركعتين، ويدعو الله، ويستغيث به في سجوده.

صـلينا نحـن الثلاثة، ولا أظنه صـلى معنا رابع، وبعد الصـلاة عـادت إلينا السـكينة وهـدوء النفس، ولكنه حـزّ في خاطرنا وجود أشخاص بجوارنا لم يصـلوا معنا، فقد كانوا يتفرجون علينا فقط، ولم يصـلِّ معنا منهم سـوى هذا الشـاب المصـري الذي صلى بنا؛ حيث كانت تبدو عليه الطمأنينة وهدوء النفس بشكل واضح للعيان، وكان يصـاحبه شـاب من بني جلدته يبدو على عكسـه تماماً، كان يبدو عليه شـيء من الاسـتهتار واللامبالاة، -مهزار- لا يكاد يكفّ عن الثرثرة والتدخين، وكان صاحبه الذي صلى بنا محور -هزاره- وثرثرتـه، ولم يكـن إمامنا الذي صـلى بنا يظهـر أي ردة فعل على مشاكسات صاحبه إلا أنه بان عليه تضايقه من هذه التعليقات التي لم يكن وقتها مناسباً البتة، ومن سخرية هذا الساخر.

فقد كان يقول ساخراً بتهكم: «لماذا أنت خائف من الموت؟! لقد نجوت منه بعد أن كدنا نموت في الجمرات، عندما تأخرت، ولم تذهب معنا، لماذا تخاف منه الآن؟!».

واتضح من تعليقات هذا الساخر بصاحبه أنهم حاجان ضمن قافلة واحدة، وهم هنا على العبّارة عائدون من الحج إلى أهاليهم، واستمر هذا الساخر، ولم يترك صاحبه لحاله؛ بل واصل استفزازه ومضايقته بصورة سمجة كفيلة بأن تثير استياء كل أحد، خاصة في ظرف مثل الظرف الذي نعيشه.

في أثناء ذلك أثارت جلبة صادرة غير بعيد منا اهتمامنا وصرفتنا عن ثرثرة هذا -المهزار-؛ حيث كان جمع خليط من الناس يتدافعون بعنف، ويتصارعون حول صندوق حديدي كبير مثبت على سطح السفينة، ويحاولون أن يكسروه بصورة شرسة وجنونية تثير القلق والخوف، حاولنا أن نعرف هوية ما يتصارعون عليه بكل هذه الشراسة، فاتضح لنا عندما كسروه أنه صندوق فيه سترات نجاة بحرِيّة، لم نكن نشعر بحاجتنا إليها في تلك اللحظات، فلا يزال لدينا الأمل في إطفاء الحريق أو الإنقاذ، خصوصاً أن المسافة بين ضباء وسفاجا قريبة، كما أن تدافع الناس بهذا الشكل جعلنا نزهد فيها؛ حيث كانوا يتزاحمون، ويتدافعون بشدة لكي يحصل كل منهم على سترة أو أكثر.

كان هذا المنظر حزيناً يظهر فيه التقاتل على البقاء، والمحزن عندما تسمع صراخ من نفد الصندوق أمامه، ولم تستطع يده أن

تمسك بسترة نجاة، حيث كان الصراع على صندوق الستر صراع الأقوياء، فالقوي يدفع الضعيف، ويأخذ مكانه حول الصندوق، ولك أيضاً أن تسمع صراخ اثنين متشاجرين على سترة لينتزعها أقواهما ويهرب بها، ولك أيضاً أن تسمع الصيحات من بعض الركاب على الذي يحمل معه أكثر من سترة، وهو يبرر أنها «لصحابي هناك».

وهناك مشهد كان جليًّا، وهو مشهد العائلات، واستلامهم لأرض السطح، وخصوصاً العائلات التي معها أطفال؛ حيث كانوا ينتظرون رب الأسرة الذي ذهب يبحث لهم عن ستر نجاة، ويحارب لكي يحصل عليها، ولكنها أيضاً لا تكفي لجميع أفراد أسرته، فيلبسون الأطفال، ويبقى الأب والأم دون سترة، ولك أن ترى الأطفال جثيّاً على ركبهم، وأياديهم مقيدة بأيادي أمهاتهم، بعد أن كانوا قبل نصف ساعة فقط يمرحون، ويلعبون في أرجاء السفينة.

بدأ الخوف يكون هو لغة أعين المسافرين، وبدأ البكاء له صوت، وبدأت الكارثة تأخذ مكانها في قلوب الركاب جميعاً.

كنت أتساءل في نفسي: ما هذا الذي يحدث بالمسافرين؟ وقد تخطف الناس ما بالصندوق من سترات، حتى لم يبقَ منها شيء، خاصة أولئك الذين يصعدون من أسفل الدرج، فقد كانوا على درجة من الخوف والهلع وكأنهم يشاهدون شيئاً أو يعرفون شيئاً عظيماً نجهله، ويثير عندهم كل هذا الجزع والرعب، الأمر الذي

دفـع (سـعوداً) لأن يقول: «سـأذهب، وأسـتطلع ما يحـدث، ولأرى الحريق، وأعود إليك».

ولم يكد (سعود) يختفي عن ناظري بين الناس بدقائق، حتى أخذ الدخان ينتشر في سطح السـفينة بكثافة، فأخذ الكل يركض؛ بحثاً عن سـتر نجـاة، ودارت حولي حيرة كبيرة فقـد أخذ الموقف يزداد غموضـاً وحرجاً؛ حيـث لاحظت أن معظم من حولي يرتدون سـتر نجـاة، وكأن الركاب بدؤوا يسـتعدون للغرق، وأخذ قلقي يتصـاعد على (سعود) كلما ازداد الدخان المنبعث من أسفل بكثافة.

سـتر النجـاة الحمراء كانت هـي الزي الغالب علـى الركاب في ظهر السـفينة، وهي علـى نوعين: الأول جيد وعملـي بالفعل؛ حيث تُنفخ بالفم لتُملأ بالهواء، وبها صافرة وكشاف، وتُلبس مثلما يلبس القميص، أما السـترة الأخرى فهي عبارة عن (إسفنجة) لا تُنفخ، وتُلبس أيضـاً مثـل الأولى، ولكنها ليسـت كالأولى، فهـي أقل جودة وفاعلية.

تأخر (سـعود) في العودة، وأصبح العثور عليه في هذه الفوضى المتصـاعدة والفـزع الذي سـرى بـين الـركاب صـعباً إن لم يكن مسـتحيلاً، ولم أعـد أدري إلى أيـن ينبغـي أن أذهـب بحثاً عنه؟ فربمـا أذهـب في اتجاه، ويأتـي هو من اتجاه آخر، فيسـلك بدوره طريقـاً آخر للبحـث عني؛ لذلك بقيت في مكاني، وجلسـت محلي لعله يعود سريعاً.

الدخـان يتزايد أكـثر فأكثر، وأحـد الملاحين يطلـب من جميع الـركاب أن ينتقلوا مـن هذه الجهة التي نحن فيهـا والتي بدأ يزيد فيها الدخان إلى الجهة الثانية من سطح السفينة.

يذكر أن السفينة فيها ثلاثة سطوح على جوانبها، بجانب كل دور سـطح مستقل، والسفينة مكونة من ثلاثة أدوار، إضافة إلى البرج، وإضافة إلى دور سفلي، وكراج سيارات ومستودعات شحن.

إلى تلـك اللحظة كنت أظن أن الربـان لا بد أنه قد اتخذ القرار بالعـودة إلى ميناء ضـباء، حيث إننا لم نبتعد عنـه كثيراً، وتأكدت مـن ذلك عندما أخـبرني أحد الركاب بأننا أبحرنا قرابة السـاعة السـابعة، وبهذا فإننا لم نبحر سـوى سـاعتين على أقصى تقدير، وبما أن الحريق نشب قبل ساعة تقريباً فإن القبطان بلا شك اتخذ قراره بالعودة إلى ضباء القريبة منه، أو طلب النجدة من سلطاتها الأقرب إليه، هكذا كنت أظن، وهكذا كنت أفكر، خصوصـاً بعد أن أحسسـت أن العبّـارة انحرفت في مسـارها، وكأنها غيّرت وجهتها، وتواصل مسيرها دون توقف.

اسـتجبنا لطلب الملاح، وأخذنا نتجه إلى الجهة الأخرى المقابلة من سطح السفينة، وما لفت نظري، وأثار دهشتي، وأنا أمشي تجاه الجهة اليمنى للسـفينة شاب من الواضح فيما تكشف عنه ملامحه أنه سـعودي، يقف وسـط إعصـار الفوضـى الذي زعـزع الجميع، ويحمل كاميرا فيديو يصـوّر بها هذه المشاهد بهدوء وطمأنينة غير

متفاعل مع الفوضى المذعورة، وكأنه في إستديو يجلس بعيداً عن كل خطر، وجال في خاطري سؤال طاف بذهني أن أسأله: من أين له هذه الطمأنينة، وهذه الثقة والتفاؤل؟!

ولكنني تراجعت عن سؤاله لسببين، أولهما: خشيت أن أفقده أمله الذي جعله يظن أن هذا الموقف لن يطول كثيراً، وأن النجاة قريبة جدًّا، والسبب الآخر أن الدخان الذي كان يتزايد قد انتقل من الجهة المقابلة لنا إلى الجهة التي كنا نقف عليها، فتركته ومضيت نحو سطح الجهة اليمنى للسفينة، ونحن هنا في سطح الدور الأول.

obeikandl.com

obeikandl.com

لحظات صبر واختبار
والسفينة تحترق...

الفصل الرابع

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

مع تزايد تصاعد الدخان أدركت حجم الخطر، وأننا فعلاً في ورطة وفي موقف لا نحسد عليه، وأن الحريق الذي يتحدثون عنه كان كبيراً بالفعل، وأخذت أعيد التفكير في موقفنا بناء على هذه المعطيات.

واصلت سيري حتى وصلت للجهة المقابلة من سطح الباخرة، وعندما وصلت وجلست على أرضية السطح بين كوم من الناس، لم يكن أحد يعلم أين المكان المناسب للجلوس، ولكن بمجرد أن يجلس شخص ما تجد الجميع يجلسون حوله.

لم يعد عند الركاب أي مجال للتفكير في أي شيء سوى أن يروا اليابسة أو يروا أنوار سفينة إنقاذ تسعفنا؛ فالدخان لم يهدأ ولم يقل، ما يدل على أن الحريق متواصل ولم يُطفأ بعد.

كانت العائلات متناثرة في هذه الجهة، وكان ما يمزق القلب هو منظر الأمهات وسؤال أطفالهن اللحوح: «متى سنصل سفاجا؟ هل انطفأ الحريق؟»

وكان ما يمزق القلب أكثر تماسك هؤلاء الأمهات أمام أطفالهن، وهنَّ يطمئنونهم بقولهن: «سنصل بعد قليل، والحريق سيطفأ إن شاء الله».

obeikandi.com

ولكن ما إن تصمد إحداهن أمام أسئلة أطفالها، حتى تنفجر أخرى باكية تضمهم إلى صدرها.

كان بالقرب مني امرأة مصرية، تحتضن ابنتها التي كانت تبكي بشدة وترتجف خوفاً، كانت الأم تضمها إلى صدرها بقوة لتهدئ من روعها، والبنت تشهق من شدة البكاء، وأمها تضمها إلى صدرها وتحاول تهدئتها، اجتاحني شعور حاد بالأسى على الأم وابنتها، وهما وحيدتان تواجهان هذه اللحظات المرعبة، وتعيشان خوفاً لم ترياه من قبل.

حاولت جهدي مساعدتهما ودعمهما نفسيًّا، وماذا كنت أملك لحظتها غير ذلك؟!

فقلت لهما وأنا أوجه حديثي للأم: «اهدأا، فإرادة الله هي النافذة، ومن كتب الله له الحياة سيعيش، حتى لو غرقت السفينة، ومن كتب عليه الموت فسيموت حتى لو نجت السفينة من الغرق، ووصلت إلى البر سالمة، فلنسلم أمرنا جميعاً لله، وهو اللطيف بعباده».

لا أدري لماذا شعرت وأنا أوجه حديثي للمرأة وابنتها بأنني كنت أشجع نفسي قبل أن أشجعهما بهذه الكلمات، وكأنني أوجه الكلام إلى نفسي، فقد كنت في حاجة للتماسك وطمأنينة النفس.

وتذكرت حديثاً للنبي ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**» (متفق عليه).

فأخـذت أقرؤهمـا، كما أنني قد قرأت أذكار المسـاء قبل ركوبي السـفينة التي كانت بالتأكيد معينة ومثبتة لي في هذه المحنة، والتي حفَّظنـي إياهـا منذ كنت طفلاً الخال حسـين بن لزهـر والتي هي حصـن حصـين، وأعد -من وجهة نظري- أن مـن لا يحفظ أذكار المسـاء والصـباح، ومن لا يعرفهـا، ولا يحافظ عليهـا أُمّيّ حتى لو كانت معه شهادة الدكتوراه.

وبذكر الله شـعرت بالهدوء والطمأنينة يتسللان إلى قلبي. هذا بالإضافة إلى رؤيتنا للنساء والأطفال المذعورين من الحريق والأزمة التي نمر بها، فكل هذا يتطلب منا نحن الرجال والشـباب أن نكون هادئين أمامهم؛ لكي نبعث فيهم شـيئاً مـن الاطمئنان والأمان، ما جعل هذا الهدوء المفتعل يكون حقيقيًّا لدي، فبدأت أشـعر بنوع من الاطمئنان والهدوء النسبي.

ولكن ما نكاد نهدأ قليلاً حتى يثير أحد المرعوبين القلق والمخاوف على الركاب من جديد.

فقد انهارت أعصـاب شاب مصـري في الرابعة عشرة من عمره تقريبـاً خوفـاً ورعبـاً، فأخذ يصـرخ بهسـتيريا، والنـاس من حوله يحاولون جهدهم تهدئته وإمسـاكه؛ حتى لا يندفع تحت ضغط رعبه الهسـتيري لإيذاء نفسه، هذا المشـهد زاد من مخاوفي على (سعود) الذي لم يعد بعد، فأخذت أبحث عنه، فلم أجده، خصوصاً أن أضواء هـذه الجهة التـي انتقلنا إليها قـد انطفأت، فجلسـت على ممر بين

الركاب يمشي فيه من أراد التحرك على سطح السفينة، وفي الحادية عشرة تقريباً سمعت صوتاً ينادي: «يا ابن مشوط... يا ابن مشوط».

وقمت، فإذا هو صوت (سعود)، اتجهت إلى مصدر الصوت وفور وقوع عيني عليه احتضنته بشدة من شدة قلقي وخوفي عليه، وهو الآخر كان يبحث عني منذ مدة، ثم ذهبت أنا وإياه، وجلسنا متكئين على ظهر السفينة، وطلبت منه عدم الذهاب إلى رؤية الحريق مرة أخرى، وأسند كل واحد منا ظهره على جدار أدوار السفينة، وأعيننا تجاه البحر.

أحياناً يبدو سلوك الناس في مثل تلك اللحظات غريباً يستعصي على التفسير، ولا أقصد ردود الفعل الغريزية، مثل: الخوف والرعب الذي قد يصل إلى درجة أن يفقد الإنسان، ليس رباطة جأشه وحدها، بل يفقد السيطرة على أعصابه، مثلما حدث للصبي المصري، فغريزة البقاء وحب الحياة قد تدفع الإنسان أحياناً إلى سلوك متطرف في رفضه للموت، وكل هذا مفهوم ومعقول، أي يمكن أن يتقبله العقل كردود أفعال تختلف وتتفاوت بين إنسان وآخر حسب درجة ومدى إيمانه بما بعد الموت، ولكني أعني هنا السلوك الذي لا يشكل ردة فعل مباشرة ومتطرفة، ومن ذلك أنني عندما وجدت (سعوداً)، لم أستطع أن أنظر في عينيه مباشرة، وكأن شيئاً ما يجعلني لا أنظر في عينيه، وأظنه فعل الشيء نفسه، لست متأكداً ومتيقناً من هذا؛ لأن بصري كان يتحاشاه، ولم أسأل

نفسي لحظتها عن السبب، ولكن فيما بعد أتوقع أنني كنت أخشى النظر إليه، وخشيت أن يبدأ كل منا يوصي الآخر كما يوصي الميت الحي، وما يريد أن يفعله الآخر بعد موته، إن عاش صاحبه، وغير ذلك مما يمكن أن يقال عندما يكون احتمال الموت كبيراً ومتوقعاً، وأيضا خشية أن تبدأ مشاعر الوداع في غزونا فتحطمنا، ونحن لسنا في حاجة لما يحبطنا؛ بل في حاجة لما يعززنا، ويثير فينا الأمل الذي يجعلنا نقاوم مصيبتنا الجلل إلى أن تفرج بإذن الله.

وحينها كان كل من في الباخرة على الأرجح يلبسون ستر نجاة عدا (سعود)، وأما أنا فعندما ذهب (سعود) للتحقق من الحريق رمى إلي الشاب المصري الذي صلى بنا صلاة الاستغاثة سترة من النوع العادي فلبستها، ولا أدري ما الدافع الذي دفع هذا المصري لإعطائي سترة قد يكون هو في حاجة إليها، ولكني فوجئت به يعطيني السترة مع أن لا علاقة بيننا؛ حتى إنني لا أعرف اسمه، وهو كذلك، ولعلها الصلاة هي التي ألّفت بين قلوبنا.

أخذنا نبحث لـ(سعود) عن سترة، ووجدنا سترة ملقاة على سطح السفينة مشابهة للتي ألبسها، فأخذها (سعود) ولبسها، وإذا هي جيدة، ثم ذهبنا وجلسنا متكئين على سور السطح صامتين تماماً، نسبح الله، ونستغفره بين الفينة والأخرى، ولم ينطق أحدنا بكلمة أو يأتِ بحركة، تدثَّرنا بالصمت، ونحن نتطلع إلى البحر الذي اكتسى بالسواد، ولا شيء غير دوي أمواجه.

وفجأة طرقت آذاننا صيحات انطلقت من بعض الركاب تقول بعد تجميع كلماتها المتناثرة: إن هناك قارب نجاة خرج من السفينة يحمل أربعة أشخاص، وقد انطلق موليًا ظهره للسفينة، بعضهم كانوا يؤكدون بيقين أنه قبطان العبّارة ومعه بعض أفراد طاقمها، ولعل من قال ذلك بعض الملاحين، فهم يعرفونه أو أن زي لبس الذين فروا في القارب يدل على أنهم من ملاحي العبّارة، ومن موظفيها، شخصيًّا لم أرَ شيئاً، ولكن جمعاً كبيراً من الناس شاهدوا القارب، وهو ينطلق مبتعداً عن الباخرة وعلى متنه ما لا يقل عن أربعة أشخاص أو خمسة.

كان نصف أنوار الإضاءة بالباخرة مطفأةً، وخصوصاً الجهة التي نجلس فيها كما قلت مسبقاً، وعندما بدأت الباخرة تميل ببطء على جانبها الأيسر أخذت الأنوار تنطفئ واحدة إثر الأخرى كأنوار السواري، والضوء الذي يخرج من نوافذ الباخرة.

في البداية لم يكن الميل ملحوظاً بالنسبة لنا نحن الذين نقف في الاتجاه الأيمن المعاكس، ولكن الباخرة خفَّت سرعة سيرها، وبدا مَيلها للجهة اليسرى واضحاً، ومن ثم استقرت نوعاً ما على درجة من الميل، وهي تواصل المسير ولم تتوقف، وكان البرد في تلك الأثناء يشتد على السطح حيث كنا نجلس، فأخذت بعض العائلات وخصوصاً التي معها أطفال تدخل الكبائن في الداخل؛ اتقاء البرد؛ إذ كان البرد قارصاً بالإضافة إلى الهواء البارد الرطب نتيجة سير السفينة.

في تلك اللحظة انتبهت إلى أنني لم ألبس الجورب (الشُّراب)، فالبرد القارص على سطح الباخرة كاد يجمد أقدامي، وكان بالقرب مني مسنٌّ مصري وبالقرب منه حقيبة ضخمة، أخذتها ووضعتها على قدمي؛ لعلي أشعر بالدفء.

ولكن العجوز المصري قال لي بلهجة فلاحية مصرية: «سيبها دي بتاعت ناس»، قلت: «لن آخذها، ولكن سأدفئ بها قدمي»، ولكنه رفض، فتقبلت هذا الرفض منه، خاصة أنه رجل كبير، وفي كل الأحوال كان الحق معه، وأخذت أتجاذب معه أطراف الحديث...

لا أعرف لماذا، ولكن كان لدي فضول لمعرفة هذا الشخص الذي لا يزال متفائلاً، ليس فقط بنجاة نفسه، ولكن أيضاً متفائل بنجاة عفشه وحقائبه أيضاً، ولعله أيضاً الفضول الصحفي الذي يرافقني دائماً، ويتعبني كثيراً، فسألته: من أين هو؟ وما عمله؟ وما إلى ذلك... وعرفت منه أنه فلاح من صعيد مصر، جاء قبل سنوات إلى المملكة، ويعمل مزارعاً في إحدى مزارع الرياض، بدوري أخذت أحدثه عن بيشة، ومزارعها الجميلة الخضراء، وأن بيشة فيها كثير من الفلاحين المصريين الذين يعملون في مزارعها، ولعلي كغيري من أهل بيشة، نحبها كثيراً، ونتحدث عنها كثيراً بين من لا يعرفها أو يزورها ما جعل بعض الأصدقاء والزملاء من خارج بيشة يلاحظون ذلك؛ بل يجعلهم بعض الأحيان يتذمرون من ذلك مازحين.

حقيقــة، لا أدري ما الشــيء الذي جعلني أســهب في الحديث مع هذا الشــيخ المصــري، قد يكــون محاولــة للهروب ممــا نحن فيه، ولإقناع نفســي بأن الوضــع ليس خطراً جدًّا، ربما كان هذا السبب، ربما...

في أثناء تبادل الحديث مع هذا الفلاح ســمعنا أصوات احتجاج تتعــالى بــين الناس في وجــه رجل كان يشــعل ســيجارة ويدخن، ما أثار حنق الناس عليــه، حيث كانوا في حالة من التوتر الكبير، وكان بعضــهم يصــرخ في وجه هذا الرجل، الذي وقف مبهوتاً يحملق في وجــوه الذين تحلقوا حولــه يطالبونه بإطفاء ســيجارته، قائلين له: «كيف تسمح لنفسك بالتدخين هنا وفي هذا الموقف؟!».

بينمــا ذهب بعضــهم أبعد من ذلــك قائلاً له: «ربمــا يكون هذا الحريق بسبب سيجارة رماها مدخن مثلك!».

كان هــذا اللغــط يمكــن أن يتطور لــو لم يقطعه صــوت انفجار كهربائــي هائل بالقــرب منا، جعــل الناس يذهلون عن الســيجارة وصاحبها وينسون أمرهما.

وأمســى الحريق بذلك الانفجار قريباً جدًّا منا على الســطح، ولا يبعــد عنا ســوى أمتار قليلة، فأخــذت مجموعات من الركاب تتدافع ركضاً؛ للابتعاد عن مكان الحريق، وبذلك ضاقت مساحة الســطح الــذي نحن فيه بعد هــذا الانفجار، ولكن مــا لبثنا حتى توقــف اللهب، إلا أن الأســلاك الكهربائية كانت تتآكل دون لهب،

ويخـرج منهـا دخـان مرتفع، مـا جعل الأشـخاص الذيـن كانوا يجلسـون بالقـرب من مـكان الانفجـار يفرون من ذلـك المكان، ويجلسون بيننا.

وبذلك بقينا محاصـرين بين الحريق من جهـة والبحر وظلمته من جهة أخرى، ونحن في مساحة صغيرة من السطح.

في هذه المسـاحة الصـغيرة كان بالقرب منا رجل مصري يرقد مفترشـاً بطانية، ويتغطى بأخرى، وكان الناس من تدافعهم يطؤون فراشه دون قصد، وهو فيما يبدو لم يكن يشعر بهم، وبما يحيط به مـن خطر، يرقد مطمئناً غير مبـالٍ بالحريق، مع أني لم أكن أتوقع أنـه نائم؛ حيث إنه عندما وُطِئَ فراشـه صـاح غاضـباً: «فيه إيه؟ خائفين من الموت؟ لسـه عارفين أن فيه موت؟ ابعد يله...، محدش يدوس على البطانية».

ثم أطلق تحذيرات هادرة ومتوعدة بأنه لن يسمح لأحد أن يطأه، أو يطأ مفرشـه، وبالطبع ما كان لأحد من الراكضـين هلعاً أن يعير ثورته أو تهديداته بالاً.

مالـت الباخرة قليلاً ما جعلنا نغـيّر مكاننا؛ حيث كانت ظهورنا مسـتندةً علـى مبنـى الباخـرة، ووجوهنـا متجهة للجهـة اليمنى، والميلان للجهة اليسـرى، فغيّرنا مكاننا، وجلسـنا بجوار المصـري صـاحب البطانية الغاضـب، فقد وجدنا بجواره مكانـاً، حينها ولما كنت أعاني من البرد الشـديد دسست قدميّ اللتين كادتا تتجمدان

برداً تحت فراشــه؛ لأستمدّ شـيئاً من الدفـء، وأسندت ظهري إلى السارية التي تُعلق فيها القوارب الخشبية.

وكان هو يحاول أن ينام، أو أن يغصب نفسه على النوم، لكنه لم ينم، فهو يتقلب كثيراً على فراشه، المهم عندي حينها أنني أحسست بالدفء بعد أن وضعت قدميَّ تحت بطانيته.

كان الركاب يتسلقون السواري؛ لكي يركبوا في القوارب الخشبية، حتـى امتلأت تلك القوارب، ولكنها لم تتحرر بعد، ولا تزال مربوطة في سواري (أعمدة) السفينة.

وعندما جلسـت في مكاني هذا، وأخذت أنظر إلى من حولي، رأيت غير بعيد مني شـابًّا يلبس الزي السـعودي، ويبدو عليه أنه لم يعـد قـادراً على الـكلام أو التفاعل مع ما حولـه، كان يجلس هـادئـاً بلا أي ردة فعل، محتميًا بالصـمت، وبمـا أن هيئته تدل على أنه سـعودي أخذت أتحدث معه، ولكنه لم يتكلم معي كثيراً، وعـاد إلى وجومه سـاهماً يلـوذ بالصـمت؛ وكأنه أغلـق أبواب إدراكـه عن العـالم، فتركته لحاله، إلا أن الدخـان ازداد كثافةً، وبتنا معرضين للاختناق، وصاحبنا الشاب السعودي الذي فيما يبـدو أنه قد وصـل إلى درجة بالغة من اليأس، واستسـلم تماماً لمصـيره، يغمضـ عينيه بين حين وآخـر ليغفو، فأخـذت أوقظه كلمـا أغمض عينيه؛ كـي لا يموت اختناقاً، وأنبهـه بألا ينام كي لا يختنق.

أخـذ ظلام الليل يزداد سـواداً بعد ضـعف نور السـفينة، حتى كاد ينعـدم، وأصـوات الانفجارات الكهربائية تعلـو بين حين وآخر، فتضـيء الظلمة بومضـات خاطفة تنذر بالخطـر المجهول، والبرد يـزداد شـدةً، ولم نكن ندري مـا الذي يحدث تحديـداً، أو ما الذي سـيحدث لاحقاً، وأخذ (سـعود) يخبرني عمّا بداخل السفينة، وما شـاهده عندما ذهب ليرى الحريق، حيث صـادفته نسوة سعوديات معهن أطفالهن، والخوف يعصـف بهن، حتى أخذن يسـتنجدن به، عندما عرفن أنه سعودي من خلال حديثه مع أحد الركاب، وأخذن يسـألنَه عـن الحريق، ويسـتعلمن منه عن حجمه، ومـدى خطورته على سـلامة السـفينة، وهل يمكن أن تنجو الباخرة وركابها، أم أن الجميع سـيلاقون حتفهم حرقاً أو غرقـاً؟! ولما لم يكن يملك إجابة عن هذه الأسـئلة، لا هو، ولا أي راكب آخـر على متن الباخرة، فقد اكتفـى بأن يطمئنهنَّ، ويحاول بث الطمأنينة إلى نفوسـهن، ويهدئ من روعهن، وهو يقاسي ألماً نفسيًّا حادًّا على حالهن.

بـدأ الحريـق يزداد في أسـفل العبّـارة، حتى بدأ يضـر ملاحي العبّـارة ويخنقهم في أسـفل العبّـارة عند محاولتهـم إطفاء النار، وطاقم السـفينة يركضـون مسـرعين داخـل العبّـارة في كل مكان، مرعوبين، وملابسـهم مبللـة بالماء، وفي هذه الأثنـاء كانت الإذاعة الخاصـة بالعبّارة تنادي علـى الأطباء والفنيين فقـط، وبدأ يظهر على صوت موظف الإذاعة الارتباك والهلع؛ بل إنه في بعض الأحيان

يصـرخ؛ ليسـتعجل الطبيـب لإسـعاف المختنقـين والمحترقين من الملاحين الذين كانوا يحاولون إطفاء الحريق.

لم يقم حتى الآن أحد من أفراد طاقم السفينة بإعلامنا بكيفية النجاة، ولا ماذا يوجد من وسائل الإنقاذ على العبّارة؟ ولم يقل أحد ما سـبب الحريق؟ وهل هم قادرون بالفعل علـى إطفائه أم لا؟ وما هي التعليمات الواجب علينا اتباعها؟

أي لم تُوجّه إلينا كلمة واحدة عن خطة للطوارئ يمكن أن تتبع في مثل هذه الظروف، فبقينا أسـرى الترقـب وانتظار المجهول، والنار لا تـزال تشـتعل، والدخان يتزايـد، ولم يأتِ الإنقـاذ بعد، كانت كل هذه الظروف تحيط بنا من جهة، والموت والغرق يلوح لنا من الجهة الأخرى.

obeikandl.com

obeikandl.com

لحظات حرجة

الفصل الخامس

obeikandl.com

سفينة الموت

أخذ الدخان يتزايد ويتكاثف بصورة لا تحتمل، وأنا لا أزال أضع قدميَّ مستدفئاً تحت مفرش صاحبنا المصري، وكنت أتمنى أن يستغرق في نومه، فلا يحتج عليّ؛ لمشاركته في مفرشه وغطائه.

استيقظ المصري المتناوم، فسحبت قدميَّ بسرعة وهدوء؛ حتى لا يراني أو يشعر بي ويثير ضجة أو يفتعل مشكلة لا أحد يرغب فيها، وأيقظت الشاب السعودي الذي استغرق في النوم؛ هرباً من هول ما يشاهد، ونبهته بأن الدخان يزداد كثافة، وحذرته من النوم مرة أخرى حتى لا يختنق، كانت الساعة قرابة الثانية فجراً؛ حينما بدأنا نشعر بأن الدخان لكثافته ثقيل؛ وكأنه مشبع بالماء، وبواحدة من المحاولات الأخيرة اليائسة قمت برفع جوالي إلى الأعلى؛ علّه يلتقط إشارة ما، أو اتصالاً من جهة ما، كانت محاولة يائسٍ يحاول بأي طريقة البحث عن مخرج من هذا الموقف غير المتوقع، إلا أن الأبراج في السفينة باتت في خبر كان.

كما أن تكاثف الدخان دفعني إلى التفكير في القفز من الباخرة إلى الماء من موقعي؛ هرباً من الاختناق؛ حيث كنت أقف متكئاً بيدي على السور الحديدي، أنظر إلى البحر، إلا أن سطح الماء كان بعيداً

جـدًّا ولا يمكـن القفز إليه من مـكاني الذي أقف فيـه، فعدلت عن الفكرة متراجعاً إلى باحة السطح.

في تلـك اللحظـات أخذت السـفينة تميل أكثر وأكـثر، وارتفع صوت صرير خشـبي حاد يشبه صـوت الأبواب الخشبية الكبيرة القديمة في البيوت الطينية العتيقة، وارتفع معه صـوت الصـراخ والصـيحات ليبـدأ ما كنا نخشـاه منـذ بداية الحريق (الساعة التاسـعة)؛ حيث بدأت السـفينة تغرق، وأخـذت تميل أكثر فأكثر ناحيـة الجانـب الأيسـر في طريقها للانقـلاب، فتشـبثت بعمود السـارية، ومـددت يديّ ممسـكاً بحواف السـطح الحديدية على جانـب الباخـرة الأيمـن حيـث كان قريبـاً مني، في حين تشـبث (سـعود) بالسـارية، أمـا من كانـوا بالجهة اليسـرى منها، فقد نزلت بهم السـفينة إلى البحر ليغيبوا فيه، وبدأت السفينة تغرق، ولها صـوت صرير الخشب ما زاد المشهد رعباً، خصوصاً أن هذا الصـوت ممزوج بصـراخ الناس وصـيحاتهم، وممزوج بصـوت البحر وارتطام أمواجه بالسـفينة، وممزوج بصـوت الانفجارات داخل السفينة، إلى أن نامت السفينة على جانبها الأيسر، وبدأت تغرق شيئاً فشيئاً.

كان الموج يحاول أن يبتلع السفينة، ويحاول أن يصلنا نحن الذين لم نغرق بعد، وكأن الموج يحاول أن يصـعد إلى قمة جبل؛ حيث كان الموج يرتفع بقوة إلى أعلى، ويضـرب السـفينة موجة إثر موجة، كل

واحدة أكبر من أختها، وكأن الموج هو أيضاً غريق يحاول أن يتمسك بما بقي من السفينة خارج البحر.

وبقينا أنا و(سعود) متمسكين في السارية، وحاولت جاهداً من ناحيتي أن أصعد على حدائد سور السفينة وأعتليها، فيما (سعود) يجاهد ويحاول الإمساك بالسور، وكان الأمر صعباً جدًّا.

أما من كانوا على حائط أدوار السفينة، فقد صارت النوافذ تتكسر من تحتهم، وهم على وشك أن يصلهم الماء، وكانوا يحاولون مقاومة الانزلاق إلى البحر، والتشبث بما تطوله أيديهم، للتعلق بحافة سطح الجهة اليمنى الذي نحن متعلقون فيه، كانوا -بدافع من غريزة البقاء- يشكلون تهديداً لنا، فمن كان يجد نفسه قريباً منا كان يقفز بكل ما أوتي من قوة، ويمد يده للإمساك بأقدامنا؛ طلباً للنجاة بنفسه، حتى وصلت يد أحدهم إلى (سعود)، وتشبث به ما جعل (سعوداً) يسقط هو وإياه إلى أسفل، وكانت الباخرة في هذه الأثناء تهبط شيئاً فشيئاً، وتغوص في البحر، متكئة على جانبها الأيسر.

بذلت أقصى ما في طاقتي لأعتلي سور السطح الحديدي، وبالفعل استطعت أن أعتليه، ومددت بطني وصدري على حدائده؛ كي لا أسقط، ورحت أبحث عن (سعود) وأركز النظر في المكان الذي سقط فيه لعل عينيَّ تقعان عليه، لكن الموج والماء وسواد الليل أغرق ذلك المكان.

استقرت الباخرة على جانبها الأيسر نوعاً ما، وابتلع البحر من كانوا في ذلك الجانب، فيما كان الموج يضرب الباخرة، وكأنه أيدٍ عملاقة تمتد، وتريد أن تسحب من بقي على الجهة اليمنى، ولكن الموج لم يكن يصل كل الأماكن في الجهة اليمنى، خصوصاً من تعلق بالسور الحديدي لسطح الجهة اليمنى من الدور الأول، ونظراً لكبر حجم السفينة كان غوصها في الماء بطيئاً نسبياً.

واستمرت النوافذ تصدر أصوات انفجارات مدوية بفعل ضغط الماء، فيما يخرج منها اللهب كالنوافير وكالألعاب النارية، وأخذت رائحة شواء الأجساد البشرية، ورائحة الانفجارات تتصاعد نفاذة مخيفة، تملأ المكان دون تحديد مصدرها، تلفتّ حولي لأرى من استطاع التشبث مثلي بالسور الذي لم يغرق بعد، فوجدتهم لا يتجاوزون ستين شخصاً، أما من كانوا يخرجون من النوافذ بفعل ضغط الماء فقد كان الموج يعلوهم، ويسحبهم إلى البحر.

كانت الباخرة تتجه إلى الجهة اليسرى أكثر فأكثر، وبدأ سور السفينة يميل إلى أسفل، وأنا أسحب نفسي في الاتجاه المعاكس، وأمشي عكس حركة السفينة - مثل حركة عقارب الساعة- ومن ثم استقرت السفينة قليلاً على شكل زاوية، وجلسنا على حافتها (حافة قاعها بطنها الذي تسير عليه)، وبعض الناس كانوا يخرجون من النوافذ التي لم تغمرها المياه، ومن الأماكن التي لم تصلها المياه بعد، ويصعدون جهتنا، والموج يحاول الوصول إليهم ليبتلع البحر

بعضهم في منظر مخيف ومرعب جدًّا، وكان بعضهم عندما يقترب منا يتزحلق؛ حيث إن حواف قاع السفينة ملساء، فترى الواحد يكاد يصل إلينا، ثم ما يلبث أن يتزحلق إلى أسفل، ومن يصل إلينا نمدّ أيدينا إليه، وكان معظمهم قد احترق؛ إلا أن هذه الحال لم تستمر سوى دقائق، ولم ينجُ من هؤلاء المتسلقين الفارين من الموت سوى عدد بسيط.

استمرت حركة السفينة بعدها بالدوران، واستمرت حركتنا عكسها، حتى استقرت السفينة على وجهها تماماً، وبات عاليها سافلها، وأصبحنا على ظهرها الذي يفترض أن يكون هو أسفلها الذي كان أملس فولاذيًّا حارّاً من أثر الانفجارات والحريق، وما سهل حركتنا وتغيير أماكننا أن حركة السفينة ودورانها كان بطيئاً، وذلك من جراء كبر حجمها.

وفي تلك الأثناء أخذت أفرك جلدي؛ لعله حلم، وأستيقظ منه، فقد كان المشهد والخطر والخوف فظيعاً جدًّا، كنت أتحرك، ولا أعلم إلى أين أتجه، هل أنا متجه إلى الموت، أم إلى طريق النجاة والحياة، التي كنت أراها حينذاك بعيدة.

قررت حينها أن أرمي بنفسي إلى البحر؛ حيث كانت السفينة تتجه نحو القاع، وتغوص شيئاً فشيئاً، وكنت قد سمعت من يحذر بأن الباخرة فور غرقها ستُحدث في محيط غرقها دوامة هائلة، وستبتلع كل شيء وكل من في محيطها، ففتحت سحاب بنطالي،

ووضعت فيه بطاقتي الشخصية، ليس لأمل أنني سأعيش، ولكن كي يتم التعرف على هويتي في حال العثور علي، وانتشال جثتي بعد الغرق إن وجدوها؛ حيث إنني أحسست بالموت، وإنني سأموت في البحر، ألقيت نظرة أخيرة على شاشة الجوال، إذ كانت ساعته تشير إلى الثانية وخمس وعشرين دقيقة، ثم رميت الجهاز في البحر.

وانتابني للحظة مرة أخرى شكّ في أن كل ما يحدث مجرد حلم، فقرصت ساعدي؛ لأتأكد من أنني لست في حلم، وأن ما يحدث حقيقي وواقعي، فتيقنت حينها من الموت؛ بل رأيته رأيَ العين، ونطقت بالشهادة، ثم متوكلاً على الله ألقيت بنفسي في البحر؛ ليبتلعني مثل الحجر الصغير.

obeikandl.com

صراع مع الأمواج
من أجل البقاء

الفصل السادس

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

بعد أن رميت نفسي في البحر أحسست بأنني أغوص بسرعة هائلة وكأن البحر ليس له قاع، وكانت كثافة الماء عالية.

وشعرت بالخوف يسري في جسمي، وكنت أفتح عيني بشدة، وكأنني أنتظر رؤية النهاية، لقد رميت بنفسي وأنا أشعر بالموت، فأين سأذهب إلا إلى طرقه حيث لم أرَ أحداً يسبح بالقرب من السفينة بتاتاً فظلمة الليل وأمواج البحر لا تجعلني أرى أحداً أتجه إليه ما دفعني إلى أن أقفز وأذهب إلى البحر قبل أن تجرّني أمواجه إليه.

وكانت هذه اللحظات من أصعب اللحظات التي واجهتها في هذه الكارثة، وقد علمت لاحقاً أن المكان الذي غرقت فيه السفينة يصل عمقه إلى ١٢٠٠ متر.

فأخذت أمد يدي وقدمي، وأحاول أن أفرد جسمي؛ حتى أتوقف عن الغوص في البحر ولكن لا فائدة، فالبحر أخذ يبتلعني ولعل عمق المياه يجعلني لا أتوقف وأيضاً قوة السقوط لها دور أيضاً.

وأخذت أحرك أطرافي سابحاً إلى السطح بكل ما أوتيت من قوة، مدفوعاً بغريزة حب البقاء، ولكي أسعف نفسي بالهواء لأتنفس، ولم

obeikandl.com

أدرك أنني على السطح أطفو؛ إلا بعد أن شعرت بلفحة هواء باردة على وجهي، حيث كان الظلام الدامس يلف كل ما حولي في ثوب حالك من السواد، وبقيت مكاني أنظر؛ لعلي أرى أناساً أو قوارب أو أيَّ شيء أتجه إليه، ولكن لم أرَ شيئاً.

وبدأت أشرب الهواء شرباً لأملأ صدري بعد أن كدت أغرق.

رفعت رأسي إلى السماء، فرأيتها بيضاء مليئة بالنجوم، ولعل غياب القمر مع ظلام البحر جعلها أكثر توهجاً، ولكنها لا تصدر ضوءاً يخفف من حلكة ظلام الليل والبحر، حيث كنا في الثالث من شهر المحرم.

ثم تناهت إلى أذني أصوات صافرات؛ لعلها الصافرات الموجودة في ستر النجاة لبعض الغرقى، ويختلط بصوت الصافرات صراخ الغرقى المذعورين، وتختلط كل الأصوات بهدير الأمواج التي ثارت حول السفينة الغارقة التي بدأت تأخذ طريقها إلى قاع البحر.

استجمعت إرادتي، وما أوتيت من قوة، وأخذت أسبح بسرعة بعيداً عن السفينة الغارقة؛ هرباً وابتعاداً من دوامة الموج الثائرة حولها، سبحت مبتعداً وأنا أشعر، وكأن هناك قوة عاتية تجذبني لقلب الدوامة، أحياناً ترفعني على رأسها موجة عند مدها، لتهبط بي موجة أخرى عند جذرها إلى أسفل، ثم رأيت وأنا على تلك الحال قارباً، حيث رأيت كشاف أحد الذين يركبون فيه، فاتجهت إليه، وكان هذا القارب -حسبما علمت لاحقاً- من ضمن مجموعة

من القوارب المطاطية في السفينة، ولم يصل الركاب إلا إلى ستة منها، ولم ينجُ منها أيضاً سوى خمسة قوارب، بعد أن تعرضت البقية للتلف والخرق والتمزق، فأغرقت راكبيها، وبعضها فيما علمت لاحقاً كانت تحمل على متنها عدداً أكثر من طاقتها؛ فانتهت إلى الغرق بهم.

أما القوارب الخشبية المخصصة لمثل هذه الطوارئ في السفينة، فقد غرقت بمن عليها ممن تشبثوا بها طلباً للنجاة؛ لأنها أساساً بقيت مربوطة في سارية العبّارة بسلاسل حديدية، ولم يتم إطلاقها قبل غرق الباخرة، فكأنها كانت معدة للموت لا النجاة منه، حيث إن الذين ركبوا فيها ظنوا أنها ستبحر بهم، إلا أنها غاصت بهم مع السفينة ولم يفلح الركاب في فك هذه القوارب.

ولم يعد هناك قوارب حرة غير مربوطة سوى القوارب المطاطية التي لم يستخدم منها سوى القليل، وقد علمت أن مسؤولي السفينة لم يطلقوها، ولكنها عبارة عن براميل تُفتح وتبحر بشكل تلقائي، ولكن بعضها أيضاً لم يُفتح، والقارب منها على شكل شبه مستطيل (٣×٤ متر) مغطى بشراع على شكل ظهر سلحفاة، وهناك في القارب فتحتان، وكأنها مدخل وباب للقارب.

وغير بعيد عن موقع غرق الباخرة كنت أسبح نحو أحد هذه القوارب، وأخذت أهرب من دوامة السفينة، وكانت الجثث على سطح البحر، رجال وأطفال ونساء، وأيضاً كان السطح مليئاً بأشياء

المسافرين من ملابس وأحذية ولعب أطفال، وأنا أتحاشى النظر للجثث وكل ما حولي في كل مكان؛ حتى لا أتأثر أو تضعف إرادتي وعزيمتي أو يصيبني اليأس والإحباط.

وعندما اقتربت من القارب، تراءى لي أنه عن يميني؛ حيث كان الموج وحركته القوية يخالفان ويغيران مكان كل شيء يمران به، فاتجهت إليه وهو يتجه نحو السفينة، وكأن الدوامة تجره إليها، فتوقفت قليلاً وأنا أنظر إليه، والموج يلعب به كأنه (سبحة) تلعب بها الأصابع، وكان صراخ من في القارب يدل على أنهم يحسون بالهلاك، فأخذت أبتعد عنهم، وصرفت النظر عن هذا القارب، وأكملت سباحتي؛ هرباً من السفينة، ومن هذه الأمواج حولها التي كان ارتفاعها كبيراً.

ورأيت الضوء نفسه الذي رأيته في القارب المطاطي السابق؛ حيث رأيت نور كشاف من بعيد لرجل يركب في قارب آخر، فدبّ الأمل في قلبي من جديد، واستشعرت القوة تسري في جسدي، فأخذت أسبح بقوة تجاه هذا النور، وفي طريقي سباحة إلى القارب شعرت بأن سترة النجاة التي ألبسها تشكل عائقاً وثقلاً يحول دون انطلاقي بخفة وسرعة إلى القارب، خصوصاً أن ملابسي لا تزال علي؛ حيث إن البيجامة التي لبستها من شدة برد سطح السفينة في أول الحريق لا تزال علي، والسترة فوقها، وفكرت بالفعل في التخلص من السترة والبيجامة لأرمي بها، وألقيها عني؛ إلا أن

ذلـك سـيكون قـراراً خاطئاً؛ بـل قاتلاً، كمـا اتضـح لي فيما بعد، وحمدت الله لعدم تنفيذه، فالبيجامة سـاعدتني على مقاومة البرد الشـديد جـدًّا والقاتل -ولعل كثيراً من الـركاب الذين ماتوا، ماتوا من البرد- كما أن السـترة لها الفضـل -بعد الله- في عدم غوصي في المياه، خصوصـاً أني لم أكن أعد نفسي ممن يجيدون السباحة، فمثلي مثل غيري كنت أعرف السباحة نظريًّا، وبالمشاهدة فقط، إلا أنني لم أكن من ممارسيها باستمرار، وكل ما كنت أجيده هو الطفو فـوق الماء على الظهـر، وهذه كما يعلم كل من جـرب هذه الطريقة في السـباحة لا تحتـاج إلى مهـارات خاصـة، ولا إلى معرفـة وإلمام بتقنيـات معينة، وكل ما عليك فعله هو أن تمدد ظهرك على سـطح الماء، وتحافظ على جسـمك مستقيماً مع تحريك قدميك، وهما في حالة الاستواء، وتحريك يديك حتى تظل طافيًا على سطح الماء، ولم تكن هذه حالي وحدي، فصـديقي (سعود) أيضاً كان مثلي لا يجيد السـباحة، إلا أن سـترة النجاة كان لها الدور الأكبر في استطاعتي مواصـلة السباحة على البطن بطريقة سلسـة وسهلة، ولكنها كانت سـباحة بطيئة، وكان الأمـل في النجاة يقوى كلمـا ازددت قرباً من القـارب؛ إلا أن القارب أخذ يبتعد، وأحسسـت بأنني لن أتمكن من اللحاق بالقارب وأخذت أسبح، وأنا يائس.

وفجأة، أحسسـت بأنني اقتربت منه أكـثر، ولا أعلم؛ هل الموجة التي حملتني على ظهرها هي التي جعلتني أقترب منه، أم أن ارتداد

الموج جعل القارب يقترب مني؟ المهم أن الله سبحانه قربني منهم، وأخذت أجدّ في السباحة حتى وصلت بالقرب من القارب.

كان هناك شيء لم أفكر فيه، ولم يخطر على بالي، وأنا أسبح، وأعوم في البحر سعيًا خلف القارب المطاطي، ولو أنه خطر في بالي لأضعف من عزيمتي بشكل كبير، ألا وهو سمك القرش الذي علمت فيما بعد، أن المكان الذي غرقت فيه السفينة غني بأسماك القرش، وقد أكلت هذه الأسماك عدداً من الركاب، وهم يسبحون.

obeikandl.com

البرد والظلام وضربات الأمواج

الفصل السابع

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

عندما اقتربت من القارب وجدته ينوء تحت ثقل ما يحمله من أشخاص يتجاوز عددهم طاقته بأضعاف، ولشدة خوفهم من أن يغرق بهم؛ لكثرتهم كانوا يطردون كل من يقترب من قارب نجاتهم بعنف، ولك أن تسمع الأصوات والتوسلات لهم من قبل كثير من الغرقى الذين يحاولون الركوب معهم، ولكنهم يرفضون، لقد اتحدوا في مواجهة الموت ضد كل من يحاول الصعود إلى القارب؛ لأنه يشكل تهديداً محتملاً لحياتهم، كانوا يدافعون عن أنفسهم وعن حياتهم التي كانت على المحك بشراسة؛ لذا لم أستقبل منهم بالترحاب كما هو متوقع، بل حاولوا طردي وإبعادي عن القارب.

فأخذت أسبح بصمت بالقرب من القارب ودون أن أثير فوضى وبلبلة حولي، وأخذت استعطف أحد ركاب القارب وقد كان يجلس عند فتحة القارب؛ حيث إن القارب له فتحتان، والشراع يغطيه من جميع النواحي، ويبقي هاتين الفتحتين المقوستين، ومن كثرة ركاب القارب كان يجلس عليها أناس، وكان هذا الذي على الفتحة مصري الجنسية، فرجوته أن يساعدني على الركوب معهم، فلان قلبه ورقّ لي ولحالي، فسمح لي بالركوب حيث يجلس، بل ساعدني على الركوب حيث إنني كنت مرهقاً ومتعباً للغاية، فساعدني على

الصعود إلى القارب الذي كان فيه عند صعودي إليه نحو ٤٥ شخصاً في حين أن حمولته ينبغي أن لا تزيد على الـ ٢٥ شخصاً.

ركبت في القارب المليء بالركاب، ولم أكد أجد مكاناً أجلس فيه من صغر القارب، وكثرة الركاب الذين جمعتهم قدرة الله سويًّا في هذا القارب المطاطي، وكانوا جميعهم رجالاً سوى فتاة هي الوحيدة في القارب، يكسوها الذهول، بعد أن فقدت عائلتها، وها هي وحيدة في قارب، يبحر نحو المجهول في بحر مترامي الأطراف ليس فيه من شيء ينبئ بالنجاة.

عندما صعدت إلى القارب كنت مرهقاً لا أستطيع الحراك، أنادي بصوت واهن ضعيف: «سعود، سعود»، سمعني شخص سعودي كان معنا في القارب، عرفت فيما بعد أن اسمه (سعود النفيعي)، وأخذ ينادي معي، ثم قال لي بلهجة متفهمة لجزعي على رفيقي بأن أخاك ليس معنا في القارب، وأضاف: «طالما أنك وصلت إلى هنا احمد الله كثيراً على ذلك، وعسى أن ينجو صديقك، ويجمعكما الله».

كان (سعود النفيعي) يسهم بفاعلية في قيادة القارب منذ البداية مع أحد ملاحي العبّارة الغارقة، ولعل لوجود أبناء عم النفيعي الصغار معه في القارب دوراً في الشعور بالمسؤولية، وفي السعي في نجاة القارب من الغرق، وكان واضحاً أنه يفعل هذا باقتدار، فقد كان متماسكاً رابط الجأش.

لم يكن القارب تحت سيطرة من يحاول التحكم في مسيره؛ لأن ذلك تولاه غير الركاب، تولاه الموج باقتدار، فهو يقذف بنا يمنة ويسرة، ولا نعلم إلى أين نحن متجهون؛ لذلك كانت قيادة القارب في إعطاء التوجيهات فقط، وفي نزح الماء، وفي بث الحماس في الركاب.

وما هي إلا لحظات من ركوبي القارب، حتى أطلق رجل مصري صيحة تحذيرية بأن قاع القارب قد انخرق، وبدأت المياه تدخل القارب، فسرت في أوصال الجميع رعشة الخوف، وكأنه أيقظهم من حلم النجاة الذي استسلموا له، وأصيبوا بالرعب، وبحالة من الفوضى، إلى أن هدأهم هذا الرجل الذي أصدر الصيحة نفسها بأنه وضع قدمه في مكان الثقب ليسده، ويمنع تسرب الماء إلى داخل القارب نوعاً ما.

سمعنا بعد ذلك صوت انفجار، تلاه ضوء سطع في السماء، لم يدم طويلاً، وقد كان هذا الصوت قنابل ضوئية، مثلها مثل ألعاب العيد النارية، حيث كانت تُطلق هذه القنابل الضوئية من بعض ملاحي السفينة الذين في بعض القوارب المطاطية، وتكرر هذا الصوت والمشهد أربع مرات، كلها كانت تسعى أن تسعفنا إحدى السفن المارة، وكانت عندما تنفجر هذه القنابل في السماء يضيء لنا البحر، وكأننا في وضح النهار، ومن ثم يعود الظلام لمكانه ويلفّنا.

بـدأت أشـعر بإعيـاء شـديد، ودخلـت في غيبوبـة أو ما يشـبه الغيبوبـة، فقد كنت أسـمع ما يقـال، ولكنني أسـمعه من داخل بئر عميقة، ولا أسـتطيع التفاعل معه، وأظن السـبب كان حالة الإرهاق والإنهـاك التـي أعـاني منهـا إلى جانـب أن أمعائي كانـت ممتلئة بالمياه المالحة، وكان بجواري شـاب سـعودي فجلسـت بجانبه، وبما أن القـارب كان مزدحمـاً فكنت من شـدة تعبي أميل، وأسـتند إلى راكب آخر بجانبي، فكان يتضجر، وكان هذا السعودي الذي عرفت لاحقـاً أن لقبه الشـهري يدافع عني مبرراً تعبـي، فارتحت بالبقاء بجانبـه، وفي إغماءتي تلـك تناهى إليّ صـوت النفيعي الهادئ وهو يحـث الركاب على نزح الميـاه من القارب معه؛ إذ كانت المياه تدخل القارب والخرق قد اتسع.

كانـت السـاعة لحظتها نحـو الثالثة والنصـف من صـباح يوم الجمعـة؛ حـين أخـذ قاربنـا المطاطي يبتعـد عن محيـط الباخرة الغارقة، ليس بالتجديف ولكن موج البحر يتقاذفنا كيف يشاء، فلا نعلم أين نحن؟

وبعد أن عاد إلي شـيء من وعيي، اكتشـفت أن بالقارب ستة من طاقم العبّارة، كانـوا جميعهم، بما لديهم من خبرة وتجربة بحرية يعملـون بهمة على نـزح المياه المتسـربة للقارب، عـدا واحد منهم، أظنـه من الكوادر القياديـة بالباخرة قبل غرقها، لم يكن يشـارك في العمل، مكتفيًا بإمسـاك جهاز لاسـلكي يطلب به النجدة دون أن

يتلقى أي إشـارة تفيد بأن لعمله هذا أي جدوى أو أهمية، ولكنه ظل مصـراً على مناشـداته بالنجـدة دون أن يتلقى ردًّا مـن أي أحد أو جهة.

وكان هناك مسـنٌّ مصـري لا يكف عن مناشـدة هذا الملاح ألا يتوقـف عـن طلب المسـاعدة عـبر الجهـاز، وكأن هذه المناشـدات أزعجت المـلاح الذي يبرر أن بطارية الجهاز قد تنفد إن طاوع هذا المسـن، ومن شـدة الموقف وهوله أخذ هذا المسـن يناشد الملاح أن يطلب المساعدة من إسـرائيل، وكأنه فقد الأمل في الموانئ المصرية حينـذاك؛ الأمر الذي أزعـج معظمنا وجعلهم يهدّئون هذا المسـن الذي جاوبهم بالبكاء الحار.

أخـذ الموج يشـتد ويرتفع بين مد وجـزر، وكنا نتمسـك بحواف القـارب، وبعمود مطاطي في منتصـف القارب، وبشـراعه أيضـاً؛ حيث كان الموج يضـرب بقوة، وكنا نسـمع صـوت الموجة، ولا نراها إلا عندما تضـربنا، وكنا عندما نسـمعها يصرخ بعض الركاب وأنا منهـم: «اقمد... اقمد»، وهي لفظة مصـرية نطلقها؛ كي يتماسـك الركاب، حيث كانت الموجة عندما تضـرب القـارب تفقدنا توازننا فيضرب بعضـنا ببعض، وكنت أقول هذه اللفظة باللهجة المصرية، وجميـع عبارتي للركاب كانت بهذه اللهجة؛ حيث إن السـعوديين في القارب خمسة، والباقون مصريون حتى إن بعض الركاب لاح بذهنه أنني مصري، ولست سعوديًّا.

المرعب في هذا المشهد هو صوت الموجة عند قدومها دون أن نراها، إذ نشعر بقدومها من صوت هديرها المرتفع، وكأنه صوت شلالات، فنستقبل ضربتها للقارب بقلوب هلعة من أن تقلب القارب.

ومع استمرار الموج لازمنا الخوف الذي لم يفارقنا في الأصل لحظة، ولكن -بفضل الله- كان لهذه القوارب مظلات مطاطية ملتصقة بها، وهذه كما هو واضح من تصميمها تسهم كثيراً في حماية ركاب القارب من الموج وضرباته القوية عند ارتفاعه مدًّ وعند هبوطه جزراً، كما تساعد على حمايتهم من أشعة الشمس المباشرة، ومن زمهرير البرد أيضاً.

في مواقف مثل هذه يحتاج الإنسان إلى دعم نفسي قوي؛ لأنه يكون فاقداً لكل حيلة، فهو أعجز من أن يفعل شيئاً، لقد كنا تحت رحمة الله تعالى في عرض البحر، وليس في الأفق ما يشير إلى نجاة أو يابسة أو حتى شبح باخرة يمكن أن تنتشلنا من البحر الهائج الأمواج، وليس من ملجأ غير الله سبحانه وتعالى، هنا يكتشف الإنسان مدى عجزه، ويتجرد تماماً من كل مظاهر القدرة والقوة التي قد يستشعرها، وينسبها إلى نفسه في البر، في أحوال حياته اليومية الآمنة الهادئة الإيقاع، وفي مثل هذا الموقف يتذكر المسلم قصة نبي الله يونس -عليه السلام- حيث أخذ أحد الركاب يذكرنا بقصة هذا النبي الذي امتحنه الله في عرض البحر حين قذف به في موقف يشبه موقفنا، ولكن مع فارق هائل، ففوق شدة الموج

والبلاء الذي كان فيه أصحاب السفينة حين رموه خرج حوت من البحر ليبتلع نبي الله يونس -عليه السلام-، فقال صاحبنا الذي كان يتحدث مقارناً بين حالنا وحال يونس -عليه السلام-: إن كربتنا أخف مما تعرض له النبي الكريم، فنحن على الأقل لسنا في بطن حوت مثله، وذكرنا بدعائه في كربه الذي أخرجه منه الله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وبالفعل أخذ بعضنا يتمتم بهذا الدعاء متضرعاً من كل قلبه راجياً رحمة الله.

obeikandl.com

obeikandl.com

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾

[هود: ٤٢]

الفصل الثامن

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

امتلأ القارب بالمياه، سواء بسبب التسرب عبر الثقب الذي أخذ في الاتساع، أو بسبب الأمواج التي كانت تضرب القارب بعنف، ونتيجة لذلك أخذ المطاط في التمدد والضعف ما جعل القارب مقعراً بعد أن هبط قاعه تحت ثقل الركاب، وضغطهم بأقدامهم على قاعه، وتحت تأثير الماء المتجمع الذي جعل القارب عبارة عن بركة ماء داخل البحر، وأصبحت المياه تغمرنا إلى نصف أجسامنا، وأمام هذا الوضع لم يكن أمامنا سوى أن نتشبث بحواف القارب وبالحبال التي فيه، وبشراع القارب أيضاً، وبعمود مطاطي كان في عرض القارب يربط بين جانبي القارب من المنتصف؛ حيث إن الذي لا يمسك بشيء يتزحلق إلى قاع القارب، فقد كان جلد القارب أملس، وأصبح قاعه مقعراً مليئاً بالمياه من ضغط الأقدام ومن ثقل الركاب وضربات الموج كما ذكرت، وما جعل القارب متماسكاً إلى هذه اللحظة، بعد عناية الله تعالى، هو إطار القارب المطاطي العريض ونزح المياه من قبل بعض الركاب.

بدافع من الخوف يتصرف بعض الناس بطريقة غير منطقية تنمّ عن الارتباك، فالمسنُّ الذي كان يبكي قبل قليل امتطى ظهري مدة من الزمن، حيث لم يجد موقعاً يتسلق عليه ليصل إلى شراع

القارب ويتمسك به، وكان لا يلبس سوى قميص فقط، وجلس على ظهري مدة من الزمن، وبعدها طلبت منه النزول والبحث عن مكان آخر، بعد أن أحسست بثقله، وقد استحييت منه قليلاً؛ لكبر سنه، ولكني لم أحتمل ثقل جسمه، وبقينا على هذه الحال، وبقلوب واجفة في انتظار انبلاج الفجر عسى أن تحمل إلينا شمسه بضيائها بعض الدفء، فقد كان البرد قارصاً، وكان ازدحام الركاب يجعلهم يستمدون الدفء من تلاصق أجسادهم ومن دفء أنفاسهم، فكنا نرجو بزوغ الفجر لعل الضوء يحمل إلينا البشرى بمن قد يرانا بوضوح تحت ضياء الشمس في صحراء البحر الشاسعة، والمترامية الأطراف هذه، فيهب لنجدتنا.

أتى الصباح وحمل إلينا إحباطاً شديداً عكس ما تحمل تباشير الصباح عادة؛ لأن الموج عند شروق الشمس كان في أقصى هياجه ارتفاعاً وجموحاً، حيث بلغ ارتفاعه -حسب تقديري- سبعة أمتار تقريباً، وهو يعبث بقاربنا ويتلاعب به، فمرة في القمة وأخرى في القاع، ويتذكر الإنسان في هذه اللحظة وصف الله عز وجل للموج حين قال: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢]، كان مجرد رؤية الموجة قادمة تثير الرعب والخوف؛ فكأن الليل كان أرحم من النهار، حيث كشف لنا النهار مدى ارتفاع الموج وقوته، فمن كبر حجم الموج كنا لا نستطيع أن ننظر للأفق وكأننا في جبال من الموج، وجلوساً صليت الفجر بالإيماء، حتى إنني صليتها في آخر وقتها إن

لم يخرج فعلاً من هول الموقف وقوة الموج التي لم تدع لأحدنا مجالاً أن يفكر في شيء سوى النجاة من الموجة القادمة.

ولاحظت أن بعض الركاب كان في حالة ذهول، ويحدق بعيون متحجرة إلى اللاشيء، فيبدو مذهولاً عما يحدث، وكأنه غير مبالٍ، فهو لا يبدي أي ردة فعل، بينما آخرون يبدون كأنهم أموات، لا تتحرك سوى أعينهم، واليأس قد تجذر عميقاً في قلوبهم، والباقون وهم قرابة الثمانية، كانوا منهمكين بنزح الماء خارج القارب، وكان أكثرهم نزحاً ونشاطاً هو (سعود النفيعي) الذي تقدم ذكره فيما سبق.

في الثامنة صباحاً تقريباً، وبعد محاولات ملحة من حامل جهاز اللاسلكي جاءه أخيراً من يرد عليه، فتعلقت أعيننا وقلوبنا بالجهاز، وهو يتلقى الإشارة، وأخذ الأمل يسطع في قلوبنا، والفرح والتكبير يرفرف في سمائنا جميعاً، ومن ثم سكتنا بعدما صرخ فينا الملاح؛ لكي يسمع صوت الجهاز، وأخذ يردد الملاح الذي معنا النداء نفسه بجهازه اللاسلكي، الذي منذ ركبت معهم في القارب، وهو يطلب النجدة بهذا النداء: «كاترينا، هل تسمعني؟».

وكان يطلق رموزاً أظنها تعني طلب النجدة، المهم أن أحد الأجهزة ردَّ عليه كما قلت الساعة الثامنة؛ إلا أن الرد كان فاتراً وسلبيًّا حيث ردَّ المجيب قائلاً بصوت خائف:

«أسمعك، وسيأتيكم إنقاذ»، ولم يزد على ذلك.

وعندما حاول الملاح الذي معنا مواصلة الحديث معه لم يستجب هـذا الشـخص الذي أظنه كان يغلب عليه أنه مصـري الجنسـية، اسـتمر المـلاح في الإلحـاح على هـذا الشـخص أن يتواصـل معه؛ لتحديد المـكان، ولكن لا حياة لمن تنادي حتى نفدت بطارية الجهاز اللاسلكي.

هـذا الاتصـال، وعبارة: «سـيأتيكم إنقـاذ» أعطتنـا دفعة قوية للأمل في الحياة، وفي الاسـتمرار في نزح الميـاه، وكأن تفكير البقاء والحياة عاد بعدما كنا نتخيل مشهد النهاية كيف سيكون، ولعل هذا الرد بالجهاز اللاسلكي جعل كفتي الموت والحياة متساويتين بعد أن كانت كفة الموت عندنا هي الراجحة.

ولكن؛ وبعد مضـي قرابة السـاعتين مالت كفة الموت من جديد، وأخذ الأمل في النجاة يتبخر؛ حيث لم يأتِ الإنقاذ الموعود، وأصيب قاربنـا بخرق جديد مـا فاقم أزمتنا، حيـث زادت المياه التي تدخل القارب، فأصبح لا بد من مضاعفة الجهد؛ لإخراج المياه من القارب وإلا فسيغرق القارب.

وانهمك بعضنا في هذا الجهد، فأخذنا ننزح المياه بأيدينا، ننزح قليلاً ونستريح قليلاً، ولكن ما جعل القارب يقاوم -بعد فضل الله- هـو حواف القـارب المطاطية، كما ذكرت سـابقاً، وهـي عبارة عن طوق إسفنجي يغطيه جلد أملس، وكأنه طوق سباحة.

بدأ يعم السـكون بين الركاب، فبعضـنا انهمك في إخراج المياه،

وآخرون كأنهم ميتون، لا تكاد ترى منهم أي ردة فعل، حينها أخذت أفكر في أسرتي، وما يحدث لهم عندما يعلمون بغرقي في البحر، ومدى الألم الذي سيشعرون به، وأحسست بألم من هذا الشعور يوازي ألمي من شعوري بالغرق، واجتاحني شعور حارق بالذنب، وتخيلت مدى ما يكون قد انتابهم من جزع وحزن ومبلغ ذلك بعد سماعهم بخبر الكارثة وغرق العبّارة، وشعرت بالأسى؛ لأنني تسببت في جزعهم وحزنهم بدلاً من أن أكون مصدراً لفرحهم وسعادتهم، وغصّت بي عبرة سدت حلقي، وتمنيت لو أنني أستطيع أن أبلغ أسرتي أنني لا أزال حيًّا، وألا يقلقوا عليّ، ولكن هيهات لي ذلك، وأنا أسيرٌ في لجة البحر.

أخذت الساعات تمر، وبدأت تشير عقارب الساعة إلى الثانية عشرة ظهراً، ولم يأتِ الإنقاذ الذي وعدنا به عبر الجهاز اللاسلكي، ولا نزال أسرى في أمواج هذا البحر المتلاطم.

في هذه الأثناء، وأنا أجول بناظري فيمن حولي في القارب فوجئت بوجه جديد بينهم لم أرَه منذ ركبت القارب، وعندما تكلم ظهر لي أنه سعودي.

سألته: «أين كنت؟».

فقال: «إنني كنت أطفو بالجوار من القارب؛ حيث إن الركاب لم يسمحوا لي بالركوب على القارب ليلة البارحة، عندما كانوا يطردون كل من يقترب منهم، فبقيت طول الليل متمسكاً بحبل

يتـدلى من القارب؛ لكـي لا يغيب ويبتعد عني، وكنـت عندما يفلت الحبل مني أسبح وأحاول اللحاق والإمساك به مرة أخرى، واقتربت قبل قليل منكم وطلبت الركوب معكم، فأركبني أحدهم، ولم تحدث ضجة من ركوبي كالتي حدثت ليلة البارحة».

أخذت أتحدث معه، فأخبرني بأنه من محافظة وادي الدواسـر، وكان يتمتع بابتسامة تلقائية جميلة.

في الواحدة ظهراً تقريباً صـليت صلاة الظهر بإيماء رأسي، ولم تكن الصـلاة في القارب معلنة، ولم تكن جماعة؛ بل لم أرَ إلا بعض الركاب يصلون، كل منهم يصلي وحده، بينما الباقون كأنهم أموات في ثياب أحياء.

بعد أن صـليت سـمعنا صـوت محرك طائرة هليوكوبتر، ورفعنا أعيننا بلهفة، وأخذ بعضـنا يلوح بطريقة هسـتيرية، وهو يصـرخ، وأخـذت الطائـرة تحلق فوقنـا، واستبشـرنا خيراً بنجـاة جديدة، وتسـببت حركة بعضـنا هنا وهناك لمطالعة الطائرة في زيادة المياه داخل القارب، الذي كان ينوء أساسـاً بثقل العدد الكبير من راكبيه والخروق التي تعرض لها، وتوقف نشـاط بعض من كانوا ينتشـلون المياه من القارب بسبب انشـغالهم بالطائرة ومتابعتها، وقد أحدث ظهـور الطائـرة بالفعل الكثير من الفوضـى في القارب، فقد كثرت الحركة فيه بطريقة عشـوائية، إلا أن الطائرة استدارت عائدة من حيث أتت، واختفت في السـماء، فعلل بعضـنا ذلـك متفائلاً بأنهم

جـاؤوا للاسـتطلاع، ولتقدير حجـم الإمدادات والمعـدات اللازمة لإنقاذنا، ومن ثم فإن النجدة ستأتي قريباً، فقد فرجت الأزمة.

كان من الواضح بالنسبة لي أن هذا كان سراباً أكثر منه حقيقة، فحتى إذا كان هذا التخمين صحيحاً، فالسؤال الذي لا يستطيع أحد الإجابة عنه هو: متى ستأتي هذه النجدة؟! وما الذي سيحدث خلال الوقت الذي سيستغرقه حضورها؟!

وبالفعـل، فقد كان توقع بعضـنا صـحيحاً، وحدث شـيء جديد زاد مـن مشـكلتنا؛ إذ حدث فتـق آخر في القارب لتصـبح بالقارب ثلاثة خروق، فازداد الوضع سوءاً، وغمرت المياه القارب من جديد، وأصبح القارب مهدداً بالغرق، ومضت قرابة ساعتين ونصف؛ حيث كانت السـاعة تشـير إلى الثالثة والنصـف، ولم يـأتِ الإنقاذ الذي توقعنا أن طائرة الهليوكوبتر سترسـله لنا، فخيم على الناس شعور طاغٍ باليأس والإحباط.

obeikandl.com

obeikandl.com

القارب يتمزق
والموت يلتقط الأرواح

الفصل التاسع

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

ما إن نهدأ قليلاً؛ حتى يثير مخاوفنا بعضهم بما يعتريه من ضعف وجزع، فقد أصيب أحد الركاب بحالة هستيرية من الجهد والإرهاق والضغط العصبي، حيث أخذ شاب يصيح: «لا أحد يطفي مكيف الاستراحة»، وظل يردد جملته هذه، وأخذ من حوله يهدئه، ولكن -حقيقة- هذا جعلنا نشعر بفداحة موقفنا، إلا أنني رأيت ما جعلني أكثر تفاؤلاً من غيري -إن صح التعبير-، فقد داعبني الأمل مرة أخرى حين رأيت طيراً يحلق في السماء، ورأيت في ذلك بشارة بأننا قرب ساحل ما، وأننا على مقربة من اليابسة، الأمر الذي دعمني نفسيًّا، وأشاع بعض الارتياح في قلبي.

كانت الهواجس والخواطر تزورني، وتراودني بين الفينة والأخرى، ومنها أنني أصبحت أفكر في نهايتي، وفي الموت الذي أفرّ منه، وها هو قد أتى وحان، وكنت أتمنى أن تكون نهايتي غير هذه، وقد كان أحد الركاب (المسن المصري) ليلة البارحة يطلب من الملاح صاحب الجهاز أن يطلب النجدة حتى من إسرائيل؛ حيث إننا قريبون منها، الأمر الذي لم يلقَ اهتماماً أو ترحيباً لا من قبل الملاح ولا من قبل أحد من الركاب، وكأن هذا الراكب ذكرنا بعدوان إسرائيل على غزة ولبنان الذي كان حينذاك في أوجه، تذكرت هذا

الموقـف الذي عـاد لي الآن، ولا أعرف لماذا، وقـد يكون لأني نظرت إلى وجه صـاحب هذه الفكرة، المهم أنني شـعرت بأسى، كيف أننا نغفـل عن الموت الذي يواجهـه إخواننا هناك في جهاد للحفاظ على بلاد الإسـلام، ونحن هنا نواجهه على هامش رحلة سـياحية، هذا شـعوري أنا كسائح وإلا فإن كثيراً من ركاب السفينة حجاج عائدون وآخـرون يكافحـون من أجل الحصـول علـى الرزق ولقمـة العيش الحـلال، وكنت بين الفينة والأخرى أحلم ببقعة يابسـة صـغيرة في وسط هذا البحر المتلاطم؛ لأعفر فيها وجهي لله.

كما أن لدي مبلغاً ليس بالكثير في حسـابي في البنك كنت أود لو أصـرخ وأنا في وسـط البحر ليسـمعني من بخارجه ويتصدق بهذا المبلغ كله قبل أن أموت غرقاً ولكن -هيهات هيهات-.

هذه الهواجس والخواطر كنت أبحر معها، ولكنها لا تدوم طويلاً لأعـود إلى قلـب الحدث وقلـب المعانـاة وتهديد الغرق الـذي يلوح بأمواجه علينا بين الفينة والأخرى.

وفي الساعة الرابعة والنصف عصراً تقريباً صليت العصر أيضاً إيماءً؛ حيث لا أسـتطيع الصـلاة إلا هكذا، وسط ازدحام الركاب، وامتلاء القارب بالمياه.

أخـذ المـوج في الارتفاع من جديد، وأصـيب قاربنـا بخرق رابع، وأصـبح القارب مليئاً بالمياه، ومهيأً للغرق، وصرت أنتظر متى يغرق قاربنـا، اقترح قائد المركب (الملاح المصـري صـاحب الجهاز) أن

يخرج بعضنا من القارب تخفيفاً لحمولته؛ لكي يتم ربط الخروق التي في القارب؛ لأن القارب إن استمر على هذا المنوال فقد يغرق ويغرقنا جميعاً، وقال للركاب كلمات أخافتهم، وجعلتهم يتفاعلون مع كلامه، وهي: «انتو حرين، عوزين القارب ما يغرقش، لازم نص الركاب على الأقل يطلعوا ونربط القارب».

فأخذ بعض الركاب في الخروج من القارب، وكان منهم (الشهري) الذي كنت بجانبه ليلة البارحة عندما كنت متعباً، والذي تعاطف معي وعاملني بلطف عندما كنت أعاني من الإعياء والتعب حينذاك، وقد خرج مع (الشهري) من القارب مجموعة من الركاب، وقد كادوا يغرقون جميعاً بسبب ارتفاع الموج، فعادوا جميعاً إلى القارب، وكان القارب يهتز، ويتمايل عند عودتهم بفعل ضربات الموج، ورأيت صاحبي (الشهري)، وهذا ما علق بذهني من اسمه، يحاول جاهداً السباحة، ومقاومة المد والجزر ليصل إلى القارب، وعندما ركب في القارب، أخذ يشير بأصبعه إلي، فعرفت أنه يطلب مساعدتي أنا بالذات، فمددت يدي له، وأجلسته بجانبي، ورجوت الذي يجلس قربي أن ينزح الماء بدلاً عني، أو أن يمسك بيد الشهري، فاختار الأولى، وكان (الشهري) لا يستطيع الجلوس من الإعياء، والقارب مليء بالمياه، فبقيت ممسكاً بـ(الشهري)، وطلبت من أحد الركاب بجانبي أن يمد يده، ويساعدني؛ كي نخرج المياه التي دخلت جوفه؛ إلا أن محاولته كانت يائسة لا أثر لها، ولا فائدة منها، وخصوصاً أن ضربات الموج ازدادت قوة وضراوة، وأيقنت أن القارب كله لا محالة غارق.

ثبتّ قدمي في القارب المليء بالمياه، ورفعت قدمي الأخرى ليجلس (الشـهري) على فخذي، ووضعت رأسه على كتفي ليظل طافيًا على السـطح، ولا يغرق حيث إن القارب أصـبح مملوءاً بالمياه، وتمسكت بحافة القارب، وزاد الموج من شـدته، وأخذ يعصـف بالقارب، وبدأ يؤذي الركاب حتى الذين لم يخرجوا من القارب قبل قليل.

وما هو إلا قليل حتى أحسسـت ببرودة وثقل على كتفي، فنظرت إلى (الشـهري) وإذا به كأنه راح في غيبوبة، فنظرت إلى وجهه، ثم وضـعت يدي على وجهه فـإذا هو بارد جدًّا، فقربـت أذني من فمه لعلي أسـمع أو أحس نفسـاً له، وحاولت تحريكـه وإيقاظه فلم أجد أثـراً للحياة، وعلمت حينها أنه فارق الحياة، وكان ذلك قبل غروب الشـمس بقليل، فقمت بربط جثته في القارب بواسطة حبل سترته، وبغياب الشمس غاب آخر أمل لنا في النجاة، وتلاشى.

وكأن موت (الشهري) أعلن بداية دبيب الموت في ركاب القارب، إضافة إلى أن عملية نزح المياه وإخراجها من القارب لم تعد تجدي كثـيراً، فقـد امتلأ القـارب على آخـره، حيث زادت فتـوق القارب واتسـعت فتحاتها، ونشـر اليأس والإحباط ثوبهمـا الكثيف، حتى غطـى الجميع، ولم يعـد أحد يثرثر سـوى الصـمت والوجوم، فلم يعـد هناك من يطرح رأياً أو اقتراحاً، فقد غرق الجميع في لحظات من اليأس والسـكون اسـتعداداً لكل الاحتمالات، فأسوأ الاحتمالات كانت واردة ومتوقعة الحدوث ومنتظرة، واستسلم كل من في القارب لهواجسه في انتظار المجهول متلفعاً بصمت مطبق.

غروب الشمس
وصيحة الأمل

الفصل العاشر

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

في لحظات مثل هذه، يواجه الإنسان عجزه في مواجهة إرادة الله التي لا تقهر، متجرداً من الحيلة والإرادة، لا يملك سوى التضرع لخالقه، يسأله الرحمة واللطف، ويتذكر الإنسان في لحظات مثل هذه ما ارتكب من معاصٍ وذنوبٍ وآثام، فيلجأ إلى الله طالباً المغفرة والعفو والرحمة، ويغتسل بالدعاء والتضرع، وكأنه ليس ذات الإنسان الذي كان يمتلئ تيهاً وفخراً ومرحاً في الأرض بين الناس غير مبالٍ، ولعله العذاب الذي باطنه الرحمة؛ لأنه يغسل الإنسان من ذنوبه، ويجعله يتعلق بحبل الله، ويغسل القلوب مما علق بها من أوهام القوة، فلا تجد القوة إلا عند القوي الجبار، فتلجأ إليه خيفة وتضرعاً، ترجو رحمته ومغفرته ولطفه.

كان هذا هو حالنا قبل غروب الشمس بقليل، حينما صرخ أحد الركاب بصوت مدوٍّ، وهو يصرخ بفرح هستيري: «سفينة.. سفينة.. سفينة.. سفينة»، التفتُّ، وكأنني كنت غارقاً في لجة من اليأس والقنوط، مثلما فعل الجميع فور سماعهم صراخ الرجل إلى حيث كان يشير بأصبعه، وبالفعل كانت إحدى السفن الضخمة تبحر بعيداً عنا وكان تأثير رؤية السفينة في تلك اللحظة ونحن في موقفنا ذاك أشبه بالحلم، وبالفعل هذا ما أحسست به لحظتها،

حيث انتابني شعور غريب، كأن كل الذي حدث من قبل، وكل ما يحدث الآن، إنما هو مجرد حلم.

اجتاح الركاب شعور عارم بالفرحة، فأخذنا نهلل ونكبر ونحمد الله، كان بعضنا يبكي فرحاً وشكراً لله، وأخذ آخرون، وقد تلاشى الإحساس بالتعب والجوع والظمأ، مثل الأطفال يطلقون صيحات الفرح بلا تحفظ، ويأخذون بعضهم بعضاً بالأحضان، وأخذنا نلوّح للسفينة، ونطلق الصيحات؛ لعل السفينة تتجه نحونا، ولكنها تجاوزتنا وذهبت، وأكملت مسيرها، ولم يعد جديداً علينا تبخر الأمل وعودة الإحباط، فقد شعرنا به أكثر من مرة منذ الصباح، ومن جديد يتزاحم ركاب القارب على فتحتي القارب، ما أعاق نزح المياه، مع أن الذين ينزحون المياه صاروا قلّةً.

وعندما بدأ البحر يلبس ثوب الليل من جديد، بدأنا نرى أنوار سفينتين متعاكستين في الاتجاه إلا أنه بعد قليل ظهر لنا أن إحداهما تتجه نحونا مباشرة، فعاد الفرح للقارب من جديد، وعاد مسلسل الفرح والصراخ والبكاء والشكر والحمد لله من جديد، وتأكدنا أن هذه السفن سفن إنقاذ، فسرى الاطمئنان إلى قلوبنا.

وفي خضم هذه المشاعر من قنوط ويأس ثم أمل ودعاء، ثم بشارة ونجاة، تستطيع أن تتصور مدى عمق الصدمة النفسية التي كان يعانيها من نجوا في هذا القارب حين تجد أن أحدهم بدأ يتفقد حاله، حال رؤيته السفينة، وقد تيقن من نجاته، فأخذ يصرخ فجأة بأعلى صوته: «يا جماعة أنا اتسرقت»

وكأنه فكر في تلك اللحظة في اتخاذ الإجراءات القانونية ليأتي بالشرطة إلى القارب لإجراء تحقيق جنائي، وتفتيش جميع من في القارب للبحث عن محفظته المسروقة!

وإلى اليوم أجد نفسي متعجباً من قدرة الإنسان على النسيان، إذ لم أجد تفسيراً لهذا التصرف، وإلا كيف لرجل كانت حياته كلها، ليست على المحك فحسب، بل كان على شفا حافة الموت، وكان الموت يتربص به مع كل ثانية في عرض البحر، وما إن تلوح له فرصة النجاة من الموت حتى يقفز عقله إلى محفظته؛ ليتهم الآخرين بسرقتها، وهم في ذلك الموقف الذي يتمنى فيه الإنسان لو يفتدي نفسه بكل ما يملك في هذه الحياة لينجو، ولا يخطر بذهنه فَقْدُ محفظته في أثناء محاولاته المستميتة للبقاء على قيد الحياة!

دنت السفينة منا، وكان ثمة رؤوس كثيرة تطل علينا من أعلى السفينة، وكانت بعض الأيادي والأذرع تلوح لنا، وبالكاد كان يصلنا ما يقولون لنا، كانت الأمواج على حالها، والسفينة تقترب منا، حتى أصبحت بجانبنا، فأخذوا يرمون بحبل لنا؛ لكي يربط القارب بالسفينة، واستغرق هذا أيضاً وقتاً إضافيًّا، وكنا نشعر بخوف من أي طارئ يعوق صعودنا إلى سطح السفينة، أو يحول بيننا وبينها، وخصوصاً من شدة الموج، ثم شاهدنا حبلاً واحداً يلوح من أعلى السفينة فوق رؤوسنا ممتداً إلى أسفل، والملاحون

من أعلى السـفينة يصرخون بأن نمسك بالحبل المتدلي، والتسلق به إلى سـطح السفينة التي كان من الواضـح أنها باخرة شحن أو نقل بضائع تجارية.

فأخذ الركاب في رفع الأيادي للإمسـاك بالحبل، وأخذ بعض الركاب يركب فوق بعض للإمسـاك بالحبل، وكأن المشهد يشبه صـنارة صياد ومجموعة من السمك، واستطاع قرابة اثني عشر راكباً الإمسـاك بالحبـل والنجاة إلى السـفينة، وبدأت أشـعر بضـيق التنفس من أثر التزاحم، ومن خروج بعض الأشـخاص، وركوبهم فوق الشـراع الخفيف الذي يستند من يجلس فوقه على ظهورنـا، وأخذ الـركاب يخرجون فوق الشـراع، وأنا معهم حتى أصبح الشراع فراشـاً للقارب، وعندما خرجت سمعت الملاحين يصيحون: «امسك كويس اللي حيوقع مش حنجيبه».

وسـمعت أن هذا حصـل فعلاً في عملية إنقـاذ قارب آخر، ومرّ الحبـل من أمامي ففشـلت في الإمسـاك به ثم مرة أخرى فشـلت أيضـاً، وفشـلت في الثالثة أيضـاً، وفي المرة الرابعة اسـتطعت أن أمسـك بالحبل، ولففته على يدي، وأخذوا يرفعوني إلى السـفينة التـي كانت مرتفعة قرابة العشـرين متراً، وقد أدى لف الحبل إلى عسم يدي.

ولعـل عملية الإنقاذ سـتكون سـهلةً لو أنزلوا قوارب السـفينة، ومن ثم رفعها إلى السـفينة بعد أن يتـم ملؤها بالغرقى، أو بنزول

الملاحين في تنظيم إنقاذ الركاب ومساعدتهم، وفي فض الازدحام والتشـاجر على الحبل، ولا أعلم هل تم إنقاذ جميع من في القارب أم لا؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة النجاة...
أين رفيق السفر؟!

الفصل الحادي عشر

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

عندما ركبت في السفينة، أخبرت الملاح بأن هناك جثة مربوطة في القارب وهي جثة الشهري، وطلبت منهم أن ينتشلوها إلى السفينة؛ كي يستلمها أهل الميت، وكان يظهر علي التعب الشديد، فيبدو أن الجهد الذي بذلته طيلة اليومين السابقين تجمع في تلك اللحظة التي شعرت فيها بأنني قد نجوت، وهذه ردود فعل انعكاسية غريزية معروفة، حيث يكون الجسد في أقصى حالاته توتراً واستنفاراً في لحظات الخطر، وبعد زوال الخطر يعود ليهدأ فجأة، ويعود ليظهر كل ما اختزنه من ألم بعد زوال تأثير الأدرينالين وانحساره من الأنسجة العضلية -الأدرينالين: هو هرمون تفرزه غدة الكظر وهي تقع فوق الكلية، حيث ينتج في الخلايا أليفة الكروم في لب الكظر، وهو يعمل على تحضير الجسم للمجهود أو التوتر في حالة الخوف مثلاً أو الإثارة- وهكذا، فبعد أن وصلت إلى سطح السفينة مسحوباً بالحبل من القارب أحسست بألم مبرح في رسغي، ثم في جسدي كله، حتى إنني عجزت عن السير فأخذت أحبو، وساعدني من كانوا على السفينة، وأرقدوني ممدداً على ظهري مادًّا قدمي على آخرهما، وأحضروا لي، مثلما أحضروا للجميع كوباً من الشاي الأحمر الساخن من غير سكر، وقطعة بسكويت، لم أكن

ولعـدة دقائق أفكر في شـيء محدد، فقد كان عقلي، مثل جسـدي، متراخياً تماماً، ومستسـلماً للراحة والاسـترخاء، ويحاول أن يجمع أشتاته المتناثرة.

أول خاطـرة طرأت علـى ذهني بعدها بقليل، كانت سـؤالي من كانوا حولي مفزوعاً: «هل رأيتم شابًّا سعوديًّا اسمه (سعود)؟».

وفي اللحظة التي طرق السـؤال ذهني، هب جسـدي متفاعلاً مع ذهني، ورحت أسـأل طاقم الباخرة السؤال نفسه: «هل رأيتم شابًّا سعوديًّا اسمه (سعود)؟».

وكأنهـم يعرفون أسـماء جميع مـن كانوا على العبّـارة، إلا أنهم فيمـا يبـدو كانوا على درايـة ومعرفة وخبرة بمثل حـالات المنقذين من الكوارث المشـابهة؛ لأنهم لم يبدوا انزعاجاً أو توتراً من سـؤالي اللحـوح، إلا أن عدم مبالاتهم بالإجابة عن سـؤالي جعلتني أشـعر بحـزن جـارف يجتاحنـي، خاصـةً وقد أجابنـي أحدهـم بطريقة عرضـية، وكأنـه يحـاول التخلص مـن مريض مزعج بـأن «أخاك (سـعوداً) غير موجود معنا على السـفينة، ولا نعلم أين هو»، حينها تيقنـت بأنـه من الذين لقـوا حتفهم، ولا أدري لماذا قفزت صـورته الآن أمامي، وأخذ شريط من الذكريات، يتسلل إلى ذهني، ويعرض صوراً لمواقف حدثت بيننا، وكأنها تحدث الآن.

وتذكرت أننا قبل شـهر كنا في رحلة تخييم على شاطئ محافظة القنفـذة، جنـوب منطقة مكـة المكرمة، وبرغم نشـاطه وحضـوره

الطاغي، والمرح طيلة الوقت، إلا أنه قط لم يشـاركنا السباحة، على الرغم من أنها كانت نشـاطاً يوميًّا شارك فيه الجميع، وكان تبريره لعدم المشـاركة في السـباحة هو أنـه لا يجيد السـباحة، ولا يحبها، أفقـت من شـريط الذكريات الـذي يرفض الانقطـاع، وأنا رافض تماماً فكرة أن تنتهي حياة صـديق لي بهذه البساطة، وكنت عندما أسـأل أحـد ملاحي السـفينة؟ كان يجيـب عن تسـاؤلاتي بطريقة محايدة وباردة، وبالفعل، لم نكن نحن ومأسـاتنا التي ستظل عالقة بأذهاننا العمر كله، أكثر من قصـة، ربما يحكيها الملاحون لبحارة آخرين في أحد الموانئ عن سفينة غرقى نجا بعض ركابها بأعجوبة.

فجـأة وقع نظري على ثلاثة أطفال سـعوديين تم انتشـالهم من موقع آخر، أكبرهم كان في سـن الرابعة عشـرة مـن عمره تقريباً، وأصـغرهم في العاشـرة، وكان منظرهم، وهم على هذه الحال من الضـياع والحيرة قد أعاد لي رشدي وتماسكي، ولا شعوريًّا وجدتني أتمالك نفسي أمامهم، وكأنني أعتذر لهم وأواسيهم.

فسـألت أكبرهـم: مـن هم؟ ومـن أين؟ ومـن كان معهـم؟ وما مصيره إن كانوا يعلمون شيئاً عنه؟

ما حكاه هؤلاء الأطفال لي إجابة عن أسـئلتي جعلني أنظر بعين أوسع، وبإدراك أعمق لحجم الكارثة وكبرها.

فقد قالوا: إنهم كانوا بصحبة والدهم.

«وأين هو الآن؟» سألتهم.

فقالوا لي: «إنه قد مات غرقاً».

لم أتقبل الإجابة بسهولة، فقلت لهم -ربما طمأنة لنفسي أكثر منهم-: «وكيف تأكدتم من ذلك؟ ربما سبح، وضاع منكم في البحر، وسلك طريقاً آخر!».

فأكدوا لي أنه لم ينجُ: «لقد غرق، ومات أمام أعيننا، فقد غطس في الماء ولم يخرج مرة أخرى، وركبنا نحن أحد القوارب المطاطية»، قال هذا لي أكبرهم، وهو واثق مما يقول.

اجتاحني شعور عميق بالعطف على حالهم ووضعهم المأساوي بعد أن شهدوا مصرع والدهم أمام أعينهم غرقاً، وهم على سفينة إنقاذ لا يعرفون فيها أحداً، ولا يعلمون أين ستذهب بهم.

استمرت السفينة في البحث عن ناجين منذ أن صعدناها قرابة الساعة الثامنة، وكان حال الركاب في السفينة هادئاً، ولم يكن ثمة حديث كثير بين الناس الذين أنقذتهم السفينة، فقد انزوى كلٌّ منهم في ناحية يجتر ما حدث معه، ويستعرض شريط ما واجهه خلال الساعات التي مضت؛ منذ أن أبحرت الباخرة، وإلى أن تم إنقاذنا، بعضهم -ومنهم أنا- لم يكتفِ بالعودة إلى لحظة مغادرة الباخرة العبّارة ميناء ضباء، فقد عاد بي شريط الأحداث إلى الوراء أبعد من ذلك، لأتذكر بحثي الحثيث المحموم عن حجز جوي

مع الزملاء في مكتب الصحيفة، وتذكرت الطريق والمسافة بين جدة وضباء، وزخات المطر، والمطعم البخاري في سوق ضباء، ومحاولتنا النوم في السيارة، وعندما توقف شريط الذكريات في اللحظة التي استيقظ فيها (سعود) من نومه، وهو يقول بانزعاج: إنه يشم رائحة الدخان، أحسست بغصة حادة في حلقي، واحتقن الدمع في عيني، أحسست برغبة لاشعورية جارفة بالانفجار في البكاء، إلا أن حالة بعض الركاب الناجين المأساوية كانت دائماً تنتشلني من الانهيار والبكاء على ابن العم الذي فقدته، مثل أولئك الأطفال وغيرهم ممن فقدوا ذويهم إلى الأبد.

استمرت السفينة في الإبحار والتوجه إلى ميناء الغردقة، وكانت تتوقف من حين لآخر لتنقذ شخصاً ما، ونحن ننتظر من يدخل علينا، وكنت أدعو الله أن يكون (سعود) من الناجين، ولكن (سعوداً) لم يكن من ضمنهم.

من بعيد تراءت أضواء محافظة الغردقة، مثل شبح غسقي يلوح من بعيد يغطيه الضباب، كانت الساعة حينها قرابة الثالثة من فجر يوم السبت، وشيئاً فشيئاً بدأت تتضح معالم المدينة بمآذنها المتعالية.

سبحان الله، لا إله إلا هو، كيف كنا نخطط لدخولنا مصر، وكيف أدخلها الآن أنا وحدي، وليس معي صاحبي في الرحلة؟!

كانت تلك أول خاطرة عندما اقتربنا من ميناء الغردقة، وبدأت

السفينة تستعد للوقوف، وكنت أتحرق شوقاً للوصول إلى اليابسة لأسأل عن (سعود)، وشيء من الأمل يجيش في صدري بأنه حي، وقد نجا على سفينة إنقاذ أخرى.

وعندما توقفت السفينة في ميناء الغردقة، وعندما اجتمع الركاب للنزول رأيت غير بعيد من بينهم طفلة في السابعة من عمرها تقريباً لم أرَها عندما ركبت في سفينة الإنقاذ، وكانت تلفت النظر بوجهها الطفولي الأخاذ، كانت تقف صامتة، لم تكن تبكي ولا تتحدث، كان الحدث أكبر من أن تستوعبه طفولتها البريئة، سألتُ من كان بقربها: «من هذه الفتاة؟ وأين أهلها؟» فأجاب بأن كل ما يعرفه عنها هو أن اسمها آلاء، تحركت نحوها وبي شعور دافق بالشفقة والحزن، وخصوصاً عندما علمت أنه تم إنقاذها من البحر، ولم يجدوا معها أحداً من أهلها، وقبل أن أصل إليها وضع أحدهم عليها (شماغاً أحمر)، ولا أعرف كيف وجدوا (الشماغ) في السفينة؟ لعله أحد موظفي السفارة؛ حيث بدأ يصعد إلينا رجال كثر من الميناء، ومنهم موظفو سفارة المملكة، وعندما وُضع (الشماغ) عليها سالت على خديها دموعٌ حارة انطلقت بصمت، وكأن هذا (الشماغ) الذي وُضع عليها لتدفئتها قليلاً أجاش ذكرياتها حيث ذكرها بـ (شماغ) أبيها الذي تحتاج إليه في كل أوقاتها، فما باله في وقت كارثي كهذا، تتصدع منه قلوب الكبار، فكيف بقلوب الصغار؟!

وضعت يدي على رأسها، والعَبْرة تخنقني، أخذت أتحدث معها

محاولاً تهدئتها، وأخذت أطمئنها بأن أهلها بخير إن شاء الله، وأنهم سينجون في سفن إنقاذ أخرى، وأنها ستقابلهم قريباً، فالناجون كثر، وكانت هذه العبارات مختلقةً، وليس لها مصدر سواي، ولكن لم أجد أفضل من ذلك لأقوله وسط شلال الدموع الذي يصب من عينيها من دون صوت بكاء.

علمت لاحقاً أن هذه الطفلة من أسرة مكونة من خمسة أشخاص، أبو آلاء (طارق) وزوجته وأولادهما الثلاثة: (ولاء) ١٦ سنة، و(سيف) ١٤ سنة، و(آلاء) ٧ سنوات. وعلمت أنه عندما بدأت السفينة بالميل بشدة جهة اليسار، وقع (طارق) وأسرته والركاب الموجودون في الطوابق العليا سقوطاً في اتجاه البحر، وتناثروا في البحر في ظل غرق بقية الركاب الذين كانوا بالجانب الأيسر للسفينة، حتى أصبحت أسرة (طارق) في ثوانٍ تطفو على سطح البحر، والسفينة تغرق أمامهم، والعتمة تملأ السماء تماماً، لدرجة أنهم لم يستطيعوا رؤية بعضهم بعضاً من شدة العتمة والظلام.

وبدأت رحلة الرعب لـ(طارق) وأسرته، وأصبح الصوت والنداء هو الوسيلة الوحيدة التي يمتلكونها وسط العتمة والموج الغاضب، لكن الصوت لم يصمد أمام الموج الذي شتت شملهم، فالجميع يبحث عن حياة خارج البحر، وكما قال طارق فيما بعد: «كنت أنا وعلي (أحد المصريين) نمسك بصندوق تبين لنا أن به قارب نجاة، وكنت قد ناديت على زوجتي، فوجدتها بالقرب مني، وسألتها عن

البنات وسيف، وأخبرتني بأنهم معها، وبدأنا أنا وعلي نحاول أن نفتح الصندوق لإخراج القارب لكنه أبداً لم يفتح، وبعد محاولات وجدنا قارب نجاة يتجه نحونا، فتشبثنا به، وقاموا بسحبنا إلى الداخل وحينها كنت أنادي على زوجتي وبناتي ولم أسمع لهن أي صوت، واختفين تماماً».

كانت زوجة طارق قد أخذها الموج المتلاطم بعيداً عن أولادها أيضاً، ولم يبقَ سوى ولاء وآلاء ممسكتين ببعضهما، وحينما اقترب من ولاء قارب مطاطي عليه بعض الناجين انتشلها دون أختها الصغرى، وكما تقول: «سحبوني إلى داخله، وجئت أتناول يد أختي، فوجدت الموج قد أخذها بعيداً عن القارب، إلا أني وجدت طفلاً صغيراً يمد يده نحوي يطلب مني أن أسحبه، ففعلت، وعيني تبحث عن أختي».

وكانت (ولاء) ضمن خمسة عشر فرداً على قارب مطاطي متهالك، وكان شعورها بالخوف من الغرق أكثر ما سيطر عليها، وتقول: «كنت أتساءل: ألن يأتي أحد لنجدتنا؟!» واستمرت رحلتهم عبر القارب المطاطي ما يقارب ست عشرة ساعة، حتى عثرت عليهم طائرة مروحية أخذوا ينادونها إلى أن وجدتهم، وكما تقول: «عثروا علينا مساء يوم الجمعة»، وتتابع: «كنت خائفةً جدًّا، خاصة أني رأيت بعض الركاب كانوا قد غرقوا وطفوا على سطح البحر، وكان اثنان قد رُبطا خلف القارب الذي نركبه وهما ميتان، والقارب يجرهما.

وما حدث مع (ولاء) كان قد حدث مع (سيف) و(آلاء) اللذين تمّ انتشالهما بعد غرق السفينة، ليكونا ضمن قوارب نجاة مطاطية، إلا أن (سيفاً) كان قد تم العثور عليه مع بعض الناجين بعد مرور ست وثلاثين ساعة من بقائهم في البحر، وكان قد تضاءل الأمل في العثور عليهم، خاصة أن (سيفاً) طفل صغير، لكن رحمة الله كانت واسعة».

ولم يحالف الأم الحظ في العثور على قارب مطاطي كما حصل مع أسرتها، فظلت في عرض البحر فترة خمس عشرة ساعة تقريباً، هي ورجل كان ممسكاً بابنه الصغير، إذ حاولوا البقاء معاً، بانتظار أحد ما يقدم لهم النجدة، إلا أن الرجل كان ضعيف المقاومة، ولم يستطع المكوث كثيراً في الماء وفي ظل البرد والجوع، مات تاركاً لها ابنه الصغير الذي أمسكت به، محاولة حمايته من الموج ورفعه عنه، لكنه كان قد ابتلع كمية كبيرة من البحر، ومات بين يديها، فتركته للبحر، وكان قلبها معلقاً بالأمل، والقلق يفطر قلبها على أولادها، خاصة بعد موت الطفل الذي كان معها، حتى عثر عليها قارب رآها، فانتشلها مساء الجمعة، وبذلك نجت عائلة (طارق) من الموت.

وهناك أيضاً قصة مشابهة لقصة زوجة (طارق)، عن أم كانت تحمل طفلها على كتفها طيلة الليل، وهي تطفو على سطح الماء، وصغيرها متعلق بكتفها، وعندما عثرت على قارب مطاطي، وأراد من في القارب إنقاذها، هي وطفلها، أتت موجة عالية قوية وقذفت بهما بعيداً، وموجة بعد موجة حتى سقط صغيرها من يدها لتبتلعه

الأمـواج، وهي تغمس يديها في البحر؛ بحثاً عن طفلها بين الأمواج، علَّها تعثر عليه، ولكنها لم تجده، تضـرب على غير هدى في البحر، وركاب القارب يحثونها لإنقاذ نفسها قائلين لها: «لقد غرق طفلك، فأنقذي نفسك الآن قبل أن تلحقي به، وتموتي غرقاً»، حتى أركبوها في القارب، وهي تشهق من البكاء.

وبمـا أن الحديـث عن نجـاة بعض النسـاء، وعن المعانـاة التي عانينها، فهذه قصـة امـرأة سـعودية كانت برفقة زوجها، وصـلا إلى ميناء محافظة ضـباء متأخريـن، ولم يجدا حجزاً على الغرف الخاصـة، فحجزا على السـطح، وصعدا السـفينة، وأخذا مكانهما على السـطح؛ حيث كان البرد قارصاً، ما جعل درجة حرارة زوجها ترتفع، وعندما اشـتعلت النيران، وبدأت السفينة تغرق، قفزت هي وزوجها إلى البحر، بعد أن لبسا ستر النجاة، وعندما سقطا في البحر فرقهما الموج، فاختفى زوجها الذي اتضـح فيما بعد أنه مات غرقاً، وبدأت تسـبح وحدها قرابة السـاعتين، ووجدت في أثناء سـباحتها قاربـاً مطاطيًّا بالقرب منهـا، فطلبت ممن في القارب المسـاعدة، واسـتجدتهم حتـى أركبوها معهم بعد أن رفضـوا في البداية؛ -لأن القـارب به خروق، ويخشـون أن يسـهم ركوبها في غـرق القارب-، ومع شـروق الشمس بدؤوا يرون سـمك القرش يمر بالقرب منهم، وكانوا يدعون الله أن يصـرفه عنهم، وفي الصباح أيضاً ركب معهم شاب سعودي؛ ليصبح عددهم في القارب ستةً، وكانوا ينزحون الماء

مـن القارب بـين الفينة والأخرى، ليخرجوا الماء الذي يتسـرب إلى القـارب من الخروق التي فيه، وفي السـاعة الحادية عشـرة تقريباً مرت بالقرب منهم سـفينة نقل بترول، وكان معظم طاقمها عجماً، فأنقذوهم، وانتشلت سفينة النفط هذه أيضاً امرأة أخرى وجدوها بجـوار القارب حيث كانت متشـبثة بحبل مربـوط في القارب، وقد فارقت الحياة، وعندما انتشلتها السفينة، وجدوا أن القرش قد أكل أجزاء من جسمها.

وقد وصلتنا هذه المرأة (الزوجة السعودية) بعد أن فقدت زوجها غرقاً، ولم تفقد عباءتها التي غاصـت بها في البحر، وسـبحت بها، وركبت بها في القارب، ثم في سـفينة البترول، حتى وصـلت إلينا في مستشـفى سفاجا، وهي لا تزال متمسـكة بها، وهذا لا يستغرب من المرأة المسـلمة المحافظة، حيث إن إحداهن تهتم بحجابها وسترها كما تهتم وتحافظ على حياتها، وهذا يحدث كثيراً أيضاً في الحوادث المرورية للسـيارات؛ حيث إن المرأة تكون مصـابة، وتنزف، وعندما يأتيها الإنقاذ تكون صـرختها واستغاثتها من المسعفين أن يغطوها، ويستروها قبل أن يسعفوها.

ويذكر أن جميع السـعوديات الناجيات اللاتي رأيتهن بعد عملية الإنقاذ، كنَّ بعباءاتهن حيث لم يخلعنها من أجسـادهن، حتى وهن في لجة البحر إلى أن نجين، فهي ما زالت على ظهورهن.

obeikandl.com

obeikandl.com

دخول مستشفى الغردقة

الفصل الثاني عشر

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

بقيت بجوار الطفلة (آلاء)، وأنا أتقطّع ألماً وحزناً على الطفلة التي كانت محاطة بعائلتها الكبيرة؛ لتجد نفسها فجأة وحيدة في سفينة، تجهل مصير أسرتها ومصيرها هي أيضاً.

وبدأت السلطات تصعد إلينا في السفينة، ولم تسمح لنا بمغادرة السفينة فور وصولها إلى الميناء، فقد صعد إلى سطحها عدد كبير من أفراد الأمن المصري، كانوا أنواعاً شتى، ينتمون لوحدات شتى، ورتب مختلفة، وبينهم من كانوا يرتدون أزياء مدنية، ولا يحملون رتباً عسكرية، ولكنك تستطيع بسهولة أن تعرف فارق الرتب بينهم من اللهجة التي يستخدمها الواحد منهم في مخاطبته لمن هم حوله، وأخذوا يحصون عدد الناجين، وبيانات هوياتهم، ويقومون بتصويرنا شخصاً شخصاً، ويعطون كل واحد منا ورقة تثبت أنه من غرقى عبّارة السلام ٩٨، وأن جوازه مفقود في هذه الحادثة، وكان من بين هؤلاء الموظفين شخص، كان يحمل أوراقاً مسجلاً بها عدد من الأسماء، فقلت له: إن كان بإمكانه أن يسدي إليّ معروفاً بمراجعته للأوراق التي بين يديه، ويبحث إن إمكن عن اسم (سعود مترك) في قائمة كشف الناجين؟

فألقى نظرة متعجلة مستعرضاً الأسماء بسرعة، وأجابني بالنفي.

وقال لي مجاملاً: «لا تقلق، فعمليات البحث جارية، وهناك كثير من الناجين، وإن شاء الله يكتب الله السلامة لأخيك، وينجو».

فقلت: سأصاحبكم عندما ننزل على اليابسة وألازمكم، وكانت الجهات المسؤولة قد وجهت من كانوا على سطح السفينة من أفراد الأمن بإنزال الركاب الناجين، ونقلهم بحافلات وسيارات إسعاف أحضرت خصيصاً لنقل الناجين إلى المستشفى.

كانت السفارة السعودية تجمّع السعوديين مع بعضهم بعضاً، وتقسمهم في سيارات إسعاف، ولكني عندما خرجت من السفينة؛ توقفت عن مواصلة السير؛ لكي أتأكد من نجاة (سعود)، ووقفت أبحث عن طريق غير الطريق الذي يؤدي إلى الحافلات، ولا أدري أي طريق أسلك، في حين كان بالقرب مني عشرات الكاميرات التي كانت أضواؤها وكشافاتها قوية جدًّا، وكان بجوار كل كاميرا صحفي يحاول أن يلتقط أي كلمة من الناجين الذين ينزلون من سفينة الإنقاذ، ولكني حينها لم أكن في حال تسمح لي بأن أتحدث مع أحد، وكانت القوات هناك توجه الناجين أن لا أحد يتوقف ويتحدث مع القنوات؛ بل يواصل السير إلى سيارات الإسعاف أو إلى الحافلات، ما أثار وقوفي هنا حفيظة أحد الضباط المصريين الذي أشار بيده لشرطيين يقفان غير بعيد منه إشارة فهماها كأمر، وانضم إليهما ثالث، إلى دفعي بالقوة لمواصلة السير، وإركابي الحافلة، ولم تكن لدي رغبة في إثارة المتاعب، فقادني العسكر إلى إحدى الحافلات، وتوجهنا لا أدري إلى أين.

الموقـف خارج الميناء كان مختلفاً للغاية، فما إن عبرت السـيارة بوابـة الميناء، حتى تأكدت بأن المسـألة في الخـارج كبيرة جدًّا، وأن الحادثة أحدثت هزة هائلةً، وصـدى كبيراً، فقد احتشـد المئات من الناس، عشرات المئات وفدوا من مختلف المحافظات المصرية، كانوا يحيطون بالسـيارات الخارجة من البوابة، وهم يحاولون النظر لمن بداخلهـا؛ بحثاً عن ذويهـم ومعارفهم، وبعض النسـوة بجلابيبهن السـوداء، كن يطلقن العويل والنواح، وكأن ذويهم قد ماتوا بالفعل، وكانت عدسـات العشـرات من الكاميرات تتوهج أضواء كشافاتها، مثل ومضات البرق المتتابعة تلتقط كل صغيرة وكبيرة من المشهد.

استغرقت رحلة الحافلة نحو ربع الساعة تقريباً حتى وصلنا إلى المستشـفى -مستشـفى الغردقة- الذي كانت تطوّقـه أعداد كبيرة من قوات الأمن المركزي، وكانت تطبق أوامر صـارمة بعدم السماح لدخـول الناس الذين كانـوا يتدافعون بلهفة عارمة لمعرفة مصـير ذويهم، وما إذا كانوا ضمن الناجين الذين أُحضروا للمستشفى.

كان الألم ينهشـني، فقـد كنـت أعـاني من تمـزق في أوتار رسـغي الأيمن، وعند دخولي المستشفى وقعت عيني على الأطفال الثلاثة الذين شهدوا مصرع والدهم أمام أعينهم؛ حيث فقدت أثرهم بعد نزولنا من السـفينة، لذلك بقيت بالقرب منهم، أُطمئِنهم وأؤكد لهم أنني سأظل إلى جانبهم إلى أن يصـلوا إلى أهلهم سـالمين، وكان معنا أربعة شباب سعوديين آخرين، كانوا أيضاً في قمة التعامل مع هؤلاء الأطفال.

وفيما بعد تم أخذي إلى غرفة في المستشفى، تشاركت فيها مع شاب مصري، وكان هذا الشاب مفاجأةً بالنسبة لي؛ حيث كان الإمام الذي صلى بنا صلاة الاستغاثة على متن السفينة في بداية الحريق، وهو نفسه الذي أعطاني سترة النجاة عندما لم أعثر على سترة نجاة حينذاك.

وضعوني على السرير، ومن ثم جاء الطبيب وفحصني، ثم ضمدوا يدي، وأعطوني العلاج.

لم نلبث قليلاً حتى جاء إلينا وفد من موظفي السفارة السعودية بمصر، كان أحدهم، ويدعى إبراهيم الحميد، قد قدم لي فور مجيئه جوّاله؛ لأكلم أهلي وأطمئنهم، فشكرته.

وقلت له: «إنني لا أريد أن أكلم أحداً».

لأنني، وحتى تلك اللحظة، لم يكن لدي ما يمكن أن أقوله لهم، ولم أكن أعرف حقيقةً ماذا أقول!

فقلت له: «إنني لن أتحدث إلى أهلي أو إلى أحد آخر، ما لم أعرف مصير أخي، وما الذي صار إليه».

فقال لي: «لم يصلنا حتى اللحظة أي خبر عنه، كما أن اسمه ليس من ضمن قائمة من نجوا وتم العثور عليهم، وهم على اتصال مع السلطات والأجهزة التي تباشر العمل من خلال غرفة عمليات عليا، ومؤكداً لي أنهم سيبادرون بإبلاغي فور العثور على أي خبر عن أخيك».

كنت أقف أمام زجاج نافذة الغرفة، وكانت الغرفة في الدور الثالث في مستشفى الغردقة، وكانت الساعة نحو السابعة صباحاً عندما طرق الباب طارق مستأذناً بالدخول، وقبل أن أرد عليه دخل الغرفة شاب مصري في منتصف العمر تقريباً، وقبل أن يعرف بنفسه قدم لي الجوال الذي يحمله، وهو يقول: «خد عندك مكالمة».

لم أسأله: المكالمة ممن؟ وإنما رددت عليه بشكل قاطع: «لا أريد أن أتحدث مع أحد».

فقال لي: «لماذا؟ أهلك لا بد أن يكونوا في قلق عليك، الخط مفتوح وهناك من ينتظر أن تكلمه، خذ الجوال وتحدث إليهم ليطمئنوا!»

فأجبته بأنني لن أتحدث مع أحد.

فقال لي، وهو يحاول ضبط أعصابه: «ولكن هذه مكالمة ضرورية». بعد تردد أخذت منه الجوال، وقلبي يخفق بعنف، وأنا أحاول أن أخمّن من يكون في الطرف الآخر، فإذا بي أُفاجأ بصوت (فالح) نسيب (سعود) وهو يهنئني بالسلامة على نجاتي، وقبل أن أسأله عن مصدر علمه هذا، لأنني لم أتحدث مع أحد، واصل حديثه: «لقد سمعنا بالخبر من القنوات الإخبارية ومنها عرفنا بأنك من الناجين»، وسألني إن كان هناك خبر عن (سعود)؟

فقلت له: إنني فقدت أثره في أثناء غرق العبّارة، وإنني أواصل البحث عنه.

وطمأنته قائلاً: «وإن شاء الله هو من الناجين».

وسألني: «هل كان (سعود) يلبس سترة قبل الغرق؟».

قلت: «نعم»، ما أثار ارتياح فالح، وأنهيت المكالمة.

ولم أكد أهدأ قليلاً من هذا الاتصال، حتى تلقيت اتصالاً آخر على الجوال نفسه، وكأن رقم هذا الجوال قد انتشر بين الأصدقاء، وإذا بالمتصل شقيق (سعود) واسمه (جلوي)، الذي هنأني بالسلامة، وسألني السؤال نفسه: «هل كان (سعود) يلبس سترة قبل الغرق؟». ورددت عليه بإجابتي لفالح نفسها، ومن ثم اتصل بي أحد أصدقائي المقربين مني جدًّا، وهو (سياف)، وأيضاً عن طريق جوال هذا الأخ المصري الذي أظنه يعمل في المستشفى.

بعد ذلك طلبت من هذا الأخ راجياً ألا يسمح لأحد بمكالمتي، وكان أسلوب هذا الأخ المصري عجيباً؛ حيث كان يفتح الجوال، ويضعه على المكبر الصوتي، الأمر الذي يجبرني على التحدث مع المتصل.

الشيء الذي أستطيع تأكيده، أن تلك الاتصالات كان لها تأثير إيجابي للغاية عليّ، فقد كانت بمثابة دعم نفسي جعلني أنظر للأمور بنظرة متفائلة، ولعلها أزاحت عن كاهلي شيئاً كبيراً من الهم.

ما دعمني نفسيًّا في ذلك اليوم، إلى جانب هذه المكالمات، هو

بقاء موظفين مصريين يعملان في سفارة المملكة العربية السعودية بالقاهرة: أحدهما كان يصحب ابنه معه، وهو شاب في السابعة عشرة من عمره تقريباً، وقد كان قمة في الهدوء والرزانة والأدب، ولفت نظري أن واحداً من هذين الموظفين كان يؤكد لي بثقة أن (سعوداً) من الناجين، وأنني سوف أقابله، كان يؤكد هذا، وهو لا يعرف (سعوداً)، ولا يملك أي معلومات عنه، وكان يقول لي عبارات تعزيزية، منها:

«ما تخفش، حتشوف أخوك، وترجعوا لبلدكم سوى، صدقني هو بخير، بس أنته طوّل بالك»، هذا الرجل الخمسيني، أستطيع أن أؤكد الآن أنه كان خير عون لي -بعد الله- في أزمتي تلك، وأنه أدى دوراً كبيراً في تهدئة قلقي ومخاوفي، وزرع التفاؤل والثقة في نفسي، في تلك الظروف الحرجة، فلقد كان لوجوده أثر مهدئ، ومطمئن لي، وقد لازماني منذ ساعات الفجر، وعندما ذهبا عاد القلق ينتابني مرة أخرى.

وأنا بداخل الغرفة، بدأت أسمع استعدادات وأصوات سير وطابوراً عسكرياً، وكأن بجواري مدينة عسكرية، وما هي إلا لحظات حتى دخل علينا شخص ينبّهنا بأن الرئيس المصري المخلوع محمد حسني مبارك سيزوركم؛ ليسلم عليكم، وبالفعل، ما هي إلا دقائق حتى زارنا الرئيس، فتذكرت ذلك الحلم الذي ذكرته في بداية القصة، وكأن هذه الزيارة كان لها علاقة بذلك الحلم.

كنت أرى في عيني الرئيس المصري تأثره وتضجره من الكارثة، التي هي من ضمن سلسلة من الورطات والإحراجات التي كان يوقعه فيها أعضاء حزبه المقربون، حيث إن مالك السفينة، والمشغل للموانئ، من أعضاء الحزب الوطني، ومن أعضاء مجلس الشعب، المعيّنين بأمر من رئيس الجمهورية، ثم ما لبث أن غادر الرئيس وعاد الإحباط واليأس يحرقانني من الداخل في محنتي تلك.

بعد ذلك دخلت علينا عجوز مصرية في الثمانينيات من عمرها تقريباً، وكأنها تبحث عن أحد ما، اتجهت نحوي مباشرة، وكأنها تعرفني معرفة سابقة ووثيقة، أظنها أشفقت عليّ، وتحركت عاطفة الأمومة فيها، لما رأت من جزعي وانتظاري لأي معلومة عن (سعود)، وعندما جلست بالقرب مني خجلت من الضعف الذي كنت أبدو عليه، فأدرت وجهي للناحية الأخرى، ولكنها ناولتني كوب ماء، ولما رأت إعراضي وعزوفي عنه، أخذت تستحلفني بالله أن أشرب منه، ولو رشفات من أجل خاطرها، وأخذت منها الماء، وأخذت أشرب، وهي تطبطب على ظهري، وتبعث الطمأنينة في نفسي بكلمات مشجعة، طالبة مني بكل طيبة أن أستعين بالله في هذه اللحظات، وأن الله سيفرج همي، ويزيل كربتي، وأني سأجد أخي، وأن ليس غير الصبر الآن، فهو مفتاح الفرج، كانت تقول كل هذه العبارات بلهجتها المصرية الجميلة، لقد كان لمواساتها لي تأثير طيب على نفسي، وإلى الآن، أظنني لن أنسى هذا الوجه الأمي الطيب السمح

ما حييت، فقد أطلَّ في ليل محنتي تلك كإشـراقة أضـاءت لي ظلمة تلك المحنة، ومنحتني شيئاً من التماسك والثقة.

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

البحث عن سعود

الفصل الثالث عشر

obeikandl.com

سفينة الموت

مرت الساعات، وبدأت مؤشرات موت (سعود) ترتفع، وبدأ عدد الناجين يقل، وإلى تلك اللحظة لم أكلم أهلي، ولم أستطع أن أبشرهم بنجاتي، وبفقدان (سعود)، وتدهورت حالتي النفسية، وكأني بدأت أغرق من جديد، وكأن فرح النجاة من الغرق قد اختفى.

وفي الثانية والنصف ظهراً تقريباً، طلبت من أحد موظفي السفارة جوالاً؛ لأتحدث مع ابن العم (عبدالله المعاوي)، وكنت أريد أن أكلفه بأن يطمئن أهلي، وأن يبلغ الجميع بأنني لن أتصل بأي شخص أو أي أحد إلى أن يتصل (سعود) بأهله ويطمئنهم، أما إذا لم يتصل ولم ينجُ، فحينها لكل حادث حديث، كنت أريد أن أبلغه هذا بمثابة إشعار لجميع أهلي ومعارفي في الوطن، إلا أنه ما إن ردَّ عليّ، وسلمت عليه، وقبل أن أبدأ بما نويت إبلاغه له، فاجأني وهو يحلف بأن (سعوداً) قد نجا -بفضل الله- وأنه اتصل بأخيه عامر قبل قليل، وأبلغهم بأنه موجود في سفاجا، ولم أشعر إلا وأنا ألقي بالجوال من يدي شاكراً ومكبراً بأعلى صوتي، وأهوي إلى الأرض ساجدًا، باكياً، حامداً الله ومكبراً.

وأخذ موظفو السفارة الذين عاشوا معي تفاصيل الانتظار في

التكبير، وفي احتضاني ومباركتي بسلامة (سعود)، وخصوصاً الأخ المصري الخمسيني، الذي كان يؤكد لي منذ أن قابلني أن (سعوداً) سينجو.

أحسست حينها بأنني أسعد من في الأرض، وأحسست بأن قلبي يكاد يطير من صدري من الفرح، إنه الفرح... الفرح بكل ما تعنيه هذه الكلمة، وفور تلقي الخبر هرولت خارجاً من الغرفة، أريد الذهاب إلى محافظة سفاجا لأقابل (سعوداً)، ولحسن الحظ وجدت سفير المملكة العربية السعودية في مصر، ومعه وفد من موظفي السفارة، يتفقد الناجين، ويسأل عن أحوالهم.

أخبرت أحد موظفي السفارة الذين يرافقونه بأنني أريد الذهاب إلى محافظة سفاجا، حيث إن أخي (سعوداً) نجا، وهو هناك، وكان هذا الموظف يحمل بيده ورقة فيها كشف بأسماء الناجين، أخذ يقرأ قائمته، وفاجأني بقوله: «إن (سعوداً) لم يأتنا اسمه بعد، وبذلك فهو لم ينجُ».

فأكدت له أنه من الناجين، فقال لي: «اسمه ليس بين قائمة الناجين، ويمكنك أن تتأكد من القائمة بنفسك».

فأفهمته بأنني لا أشكك في مصداقيته، ولكني اتصلت قبل قليل على الأهل في السعودية، وأكدوا لي نجاته، وأنه اتصل عليهم وليس شخصاً آخر، وقال لهم: إنه في ميناء سفاجا، فكيف يتصل وهو ميت؟!

فـرد عليّ الموظف بكل ثقة: إنه ليس في قائمة الناجين، ومن ثم فهو ليس ممن تم العثور عليهم أحياءً أو أمواتاً.

وصلت مع الموظف إلى طريق مسدود، وقد أدخلت عباراته في قلبي بعض الشك؛ لثقته فيما يقول، ومن أسلوب كلامه.

فقلت له: «إذن، ساعدني... كيف أذهب إلى سفاجا؟ وبأي طريقة؟ (سفاجا تبعد نحو ثمانين كيلومتراً من محافظة الغردقة)، وهناك سأتأكد بنفسي، وأنا على يقين بأنني سأجده إن شاء الله، وسترون أني صادق»، ولكنه رفض، موضحاً بأنهم يبذلون قصارى جهدهم للتأكد من الناجين السعوديين، وإذا كان هناك أي خبر عن (سعود)؛ فإنهم سيسارعون للاتصال بي، وإذا كان هناك أي شيء يمكنهم عمله؛ فإنهم لن يتوانوا عن عمله، وأن كل ما هو مطلوب مني الآن هو البقاء هادئاً في غرفتي، حتى يستطيعوا القيام بواجبهم.

لم يكن السفير بعيداً عن محاورتنا، فرجوته، وطلبت منه الطلب نفسه الذي قلته لموظف السفارة.

ولكنه ردّ بكلام الموظف نفسه، وكأن هذا يعني أن عدم سفري تقرر من السفير نفسه، أو بأمر منه.

غادر السفير موقعه، ليتفقد بقية الناجين بالمستشفى، ويتبعه موظفو السفارة، فلم أستطع البقاء في الغرفة، وحاولت أن أخرج

مـن المستشـفى، ونزلـت إلى الدور الأرضـي، وإذا بالشـرطة تقف عند أبـواب المبنـى، وعندما أردت الخـروج منعوني، فأخـذت ألحُّ عليهـم لكي يتركوني أخرج، وفي غفلة منهم تمكنت من الخروج من بينهـم، وتركوني أذهب، وقد كانوا يسـتطيعون إرجاعي مرة أخرى للمستشـفى، وعندما خرجت من مبنى التنـويم إلى الفناء، وجدت هناك أيضاً طوقاً أمنيًّا في الفناء، فوقفت أمامه حائراً، ماذا أفعل؟

انتحيت ركناً قرب الباب، وجلسـت على الأرض محتاراً، وعند الثالثة والنصف تقريباً عصر السبت، خرج السفير وحاشيته.

فسألت أحدهم عن وجهتهم؟

فقـال لي: إنهم متجهـون إلى سـفاجا؛ لمعاينة أوضـاع الناجين هناك.

فتوجهت بحديثي للسفير مباشرة، طالباً منه اصطحابي معهم.

ولكنه رفض، وتساءل عن وجودي هنا؟

فلم أتمالك نفسـي عندها، فقلت غاضباً: إني رجل راشد عاقل ومسـؤول عن تصـرفاتي، ولست طفلاً ولا طائشـاً، فلماذا التعامل معي بهذه الأبوية وهذه الفوقية؟!

ربمـا كان السـفير لحظتها علـى حق في تحفظه علـى مرافقتي لهم، إذ يبدو أن ملابسـي وهيئتي وبتأثير من المدة التي قضيتها في البحر ليومين أعطته انطباعاً سلبيًّا عني.

ولكنــه في نهاية الحوار الذي بدا ســاخناً مــن جانبي، وافق على مرافقتي لهم، موجهاً موظفيه باصــطحابي معهم في الســيارة التي تتبع سيارة السفير؛ حيث كانت معهم سيارتان.

ركبــت مــع أفراد الســفارة، وانطلقــت الســيارة في الطريق من الغردقة متجهة إلى سفاجا.

كانت الأسئلة تتدفق شلالاً في عقلي، وكانت الهواجس تجوس في قلبي، ترى هل تحدث المعجزة، وينجو (سعود)؟ وهل سأقابله ونعود معاً للوطن سالمين؟! أم أن كلام موظف السفارة صحيح وأنه لم ينجُ، وهل ستكون عودتنا آمنة إذا نجا؟ أم ستكون محفوفة بالمخاطر مثل الأولى؟ كنت أفيق من هذه الأســئلة، فألح على السائق أن يزيد من ســرعة سيارته التي كانت تنطلق بســرعة ثمانين كيلو متراً، ولكنها كانت تسير بسرعة السلحفاة في نظري.

ولعل ما أثار كل هذه الهواجس والمخاوف والتســاؤلات كان كلام موظف السفارة القاطع بعدم نجاة (سعود)، أو ورود اسمه في قائمة الناجين، على الرغم من التأكيد الذي تلقيته هاتفيًّا من الســعودية بنجاته، ولعل هذا ما جعلني في منطقة الشك حول مصيره.

obeikandl.com

obeikandl.com

سفاجا

الفصل الرابع عشر

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

وصلنا مستشفى محافظة سفاجة، وكما كان متوقعاً، فقد كان يعجّ بزحمة الناس الذين قضوا يومهم هرولة ما بين الميناءين في الغردقة وسفاجا؛ لمعرفة مصير ذويهم ومعارفهم.

دخلنا المستشفى بصعوبة، فالآلاف من الناس يحيطون بمستشفى سفاجا، وكانت قوات الأمن تضع حزاماً من رجالها حول سور المستشفى؛ حيث كان أهالي الضحايا والناجين يرمون بأنفسهم من على السور؛ لكي يدخلوا المستشفى ويعرفوا مصير ذويهم؛ بل إنك تسمع صيحات بين بعض من هم بداخل المستشفى عبر النوافذ مع من بخارجه؛ حيث كانت الصيحات وسيلة استعلام لأهالي الضحايا والناجين؛ يستنجدون بها بمن بداخل المستشفى؛ ليتأكدوا من سلامة ذويهم.

ومما زاد هذا الضجيج صوت صفارات مركبات الإسعاف وسيارات الأمن، وهذا كله يجعل المشهد عظيماً، والحدث جللاً.

كان قلبي يخفق بعنفٍ، وأنا أجتاز بوابة المستشفى، ولو خُيّرت لحظتها؛ فأظنني كنت سأختار ألا أدخل، وأتعرض لهذا الامتحان القاسي، فالحقيقة أحياناً جارحة، ويميل الإنسان إلى عدم مواجهتها؛ خوفاً من أن تكون على عكس ما يريد، نعم، كنت أتحرق

شوقاً لمعرفة مصير صاحبي، ولكنني كنت أخشى مواجهة الحقيقة، فكِفّتا احتمالات مصيره أصبحتا متساويتين بسبب تأكيدات موظف السفارة القاطعة.

قد يستغرب البعض من جزعي المفرط على ابن العم ورفيق الرحلة (سعود) ولكن ذلك هو عصارة ما تشربته منذ صغري من الاعتناء بالصديق (الخوي) وأن النفس تُقدَّم أحياناً رخيصة في الدفاع والتضحية عن الصديق، وهذا أيضاً من شيم العرب وخصوصاً أبناء البادية التي أنتمي إليها.

انفصلت عن وفد السفارة، وأخذت أركض؛ بحثاً عن (سعود) بين الناس الذين تشتتوا في المستشفى هنا وهناك، وكنت أدخل الغرف، واحدة تلو أخرى، وأسأل المرضى والمارَّة والممرضين عنه، وبين الركض والبحث وجدت نفسي أمام الوفد مرة أخرى، فسألني أحد موظفي السفارة ممن يرافقون السفير عمّا إذا كنت قد عثرت على أثر لـ(سعود)، فهززت رأسي نافياً، وأنا أجيبه بـ: «لا»، فقال لي: «لقد أخبرناك، ولكن لم تصدقنا، والآن عليك أن تهدأ وتلزم مكانك الذي تقف عليه هنا، ولا تغادره؛ كي لا نفقدك أنت الآخر، وإلا فإننا سنعاقبك!».

قال هذا، وكنا نقف على درج الطابق الثالث بالمستشفى، فجلست متهالكاً على أقرب درجة في السلم دون وعي مني، وقلت في نفسي: «قد تكون نجاة (سعود) شائعة راجت هناك في بيشة، حتى كادت

تصبح حقيقة، وإنني من شدة حاجتي إلى تصديقها قد أقنعت نفسي بأنها حقيقية، وصدقتها مخادعاً نفسي».

أقبل عليّ الليل، وأنا في جلستي تلك على الدرج، رأسي على راحتي، وعقلي غارق في الحيرة، يتأرجح بين اليأس والرجاء، كلما أقبل فوج من الناجين بسيارات الإسعاف، أركض بحثاً بينهم عن (سعود)... فلا أجده، ثم أعود لمكاني يائساً، إلا أنني في حين كنت غارقاً في يأسي وإحباطي، لاحظت أن عدد سيارات الإسعاف بدأ يزداد كل لحظة، ما يعني أن قدوم الناجين بدأ يكثر شيئاً فشيئاً.

مرّ بي، وأنا أجلس على السلم شاب يظهر من شكله أنه سعودي، فاستوقفته، وسألته:

- «متى دخلت المستشفى؟».

- قال: «قبل قليل».

- قلت: «هل معكم شاب سعودي اسمه (سعود)؟».

- فقال: «أظن ذلك».

- فقلت: «كيف وصفه؟».

- فقال: «لا تلح علي، تجده هناك في الدور الأرضي في عيادة الطوارئ، اذهب، وتأكد بنفسك».

شكرته، وركضت مهرولاً للدور الأرضي في المستشفى، وفي غرف الطوارئ -الإسعاف- كان عدد الناجين كثيراً، فدخلت الغرفة

الأولى، وأخذت أقلب نظري بينهم واحداً واحداً، فلم أجد (سعوداً) بينهم، ودخلت الغرفة الثانية ولم أجده كذلك، وفي طريقي إلى باب الغرفة الثالثة ترددت في الدخول، كان قلبي يخفق بقوة، وكأنني مقبل لأطلّ على هوة المجهول، شيء ما كان يجعل خطواتي ثقيلة مترددة؛ خوفاً من صدمة عدم العثور على (سعود) في هذه الغرفة، وهي آخر غرفة في رواق غرف الطوارئ بالمستشفى التي تستقبل الناجين من العبّارة، فأخذت أختلس النظر إلى الغرفة بوجل وخوف من وراء الباب، وفجأة وقعت عيناي عليه، لم أصدقهما، ولم أصدق ما أراه، فاندفعت إليه، ولم يشعر إلا وقدماه تلوحان في السماء؛ حيث فاجأته وحملته، وعندما نظر ليتأكد من هذا الذي يحمله، وأطلق كلمة:

«أرحـــــــــــــب...»، وهي كلمة نطلقها في وجه الضيف، وفي وجه من نحب بصوت عالٍ؛ تعبيراً عن مدى فرحنا برؤيته.

حينها أحسست بصدري يتشبع بالهواء، وكأني كنت مختنقاً داخل البحر، وللتّو خرجت، واستنشقت الهواء، حينها أيضاً نسيت كل ما تعرضت له في البحر، وكأنني لم أغرق من الأساس.

لم أنتبه، كما لم يتنبه (سعود) إلى أن جميع من في الغرفة تركوا ما بأيديهم، وراحوا يحدقون بنا بتساؤل، وحين انتبهت إليهم لاحظت أن عدداً من الناس كانوا يتزاحمون على باب الغرفة من الخارج، يحاولون التطلع إلى الداخل، ومشاهدة ما يحدث في

الغرفة، فقد كان جميع من في المستشفى شغوفين لمعرفة أي معلومة عن الحادث والناجين.

خرجنا من غرفة الطوارئ، وكل منا يطرح على الآخر سيلاً من الأسئلة، فكلّ منا كان يريد أن يحكي لصاحبه، ويسمعه يحكي، كنا متلهفَين للكلام والاستماع في الوقت نفسه.

ذكر لي (سعود) قصة نجاته، وأنه وجد برميلاً طافياً، بعد أن سحبه أحدهم معه إلى البحر، عندما كان متعلقاً معي على سارية العبّارة، وظل متشبثاً بالبرميل، ومعه خمسة آخرون إلى أن أتاهم قارب إنقاذ مطاطي خالٍ، لا يوجد به أحد، فركبوا فيه، وأركبوا معهم آخرين، وظلوا في قاربهم ذاك إلى أن مرّت بهم سفينة بضائع قرابة الساعة السابعة من مساء الجمعة، أخذتهم، واتجهت بهم إلى ميناء العقبة الأردني، والشيء المدهش والغريب حقًّا الذي ذكره لي (سعود)، أن طاقم السفينة التي أنقذتهم لم يكونوا يعلمون شيئاً عن العبّارة الغارقة، وأنهم وجدوهم مصادفة، وهذا ما يجعل المرء يتساءل: لماذا لم تُبلّغ كل البواخر العابرة بالحادث؛ لتسارع الأقرب منها إلى موقع الحادث؛ لإنقاذ من يمكن إنقاذه؟!

بعد أن وصلت بهم السفينة إلى العقبة، طلبت منها القوات المصرية أن تسلم الناجين إلى ميناء سفاجا، فعادت السفينة التجارية بالمجموعة التي أنقذتها إلى ميناء سفاجا، وهذا ما جعل

اكتشـاف نجاتهم يظهر متأخراً، كما أن الجهات الأمنية في الموانئ لا تعلن عن اسم ناجٍ حتى تتسلمه، وتراه شخصيًّا.

ولكن (سـعوداً) عندما اقـترب من الميناء اسـتخدم جوال أحد موظفي السـفينة، واتصل على أخيه (عامر) وأخبرهم بنجاته، ما جعل خبر نجاة (سعود) تصلني من بيشة قبل أن تصل إلى موظفي سـفارة المملكة التي لم تبلغهم الجهات الأمنية المصـرية إلا بعد أن وصل (سعود) إلى ميناء سفاجا.

بعد أن وجدت (سـعوداً) في مستشفى سفاجا، وصل أقاربنا من المملكة، حيث وصل (سياف بن سعود) و(عبدالله بن ناصر) ما زاد من شـعورنا براحـة كبيرة، وبدأنا نكلم الأهل في بيشـة، ونطمئنهم علينا.

وفي الساعة العاشرة تقريباً، ونحن لا نزال في مستشفى سفاجا، أخبرنا أحد موظفي السفارة بأن صاحب السمو الملكي الأمير محمد ابن نايف مسـاعد وزيـر الداخلية يريد أن يتحـدث إلينا بالجوال؛ للاطمئنـان علينا جميعـاً، وبالفعل تحدث سـموّه إلى كل واحد من الناجين عبر جهاز جوال موظف السـفارة، وهنأنا بالسلامة، وأخذ يكلمنا واحداً تلو الآخر، وواسانا بكلمات أبوية، وخصوصاً للأطفال بيننا؛ حيث كان الجوال على المكبر، وكان مما يقول:

«أنتـو عيالنـا، وحنا أهلكـم، ولا تقلقون من شـيء، كل ما تبونه سيتم توفيره بأسرع وقت».

وشـرح لـه أحدنا موقفنـا، قائلاً له: إن الوضـع هنا مأسـاوي، فهنـاك أطفال ونسـاء فقـدوا ذويهم، وهـم في حاجة إلى السـكن والمأوى والمعيشة، وفي حاجة ماسة وعاجلة للعودة إلى الوطن بأسرع وقت ممكن، فكان ردّه لنا:

«أبشروا بالخير، سيتم توفير ما تطلبون وما تحتاجون إليه فوراً».

كان لهذا الاتصـال أثر طيب علينا جميعاً، وأحسسنا بأن هناك من يتابع أمرنا ويهتم بنا، وخصوصاً أن معظم الناجين خرجوا إلى اليابسـة، وليس معهم سـوى ملابسهم التي يلبسـونها، فالجوازات والحقائـب والنقود كلهـا غرقت، مـا جعل الناجين بـلا هوية وبلا مسـكن وبلا مال، ولا يسـتطيعون العودة إلى أهلهـم، فكان لتدخل الأمير محمد الأثر الكبير في حل هذه العقبات سريعاً.

وبالفعل، فلم تكد تنقضـي ساعة، حتى تم نقل جميع السعوديين وذويهـم ممـن جاء مـن المملكـة، إلى قريـة سـياحية في محافظة الغردقـة، تم حجزها كلها لنا، ووضـعت جميـع مرافقها وكوادرها العاملة في خدمتنا، ومن ثم تم توفير ثلاث طائرات: إحداها طائرة ركاب خاصة، وطائرتا إخلاء طبي للمرضى والمصابين.

و عندمـا تم نقلنـا إلى القرية السـياحية، كان من الواضـح أن الناجين قد تم حصـرهم بشـكل كامل وقاطـع، إذ لم يظهر ناجون جـدد بعدها؛ حيـث كان عدد السـعوديين الذين على مـتن العبّارة تسعة وتسعين شخصاً، نجا منهم فقط أربعة وأربعون ناجياً.

وتم إسكان جميع السعوديين الناجين على الشواطئ المصرية في القرية السياحية السكنية التي وفرتها لنا المملكة في محافظة الغردقة، كما أن السفارة أيضاً أسكنت معنا من جاء من السعودية للاطمئنان على أهله وقرابته، حتى أصبحت هذه القرية بمثابة حارة سعودية، وكأننا جميعاً أهل وأقارب.

كنا نتبادل الأحزان، ونتشاطر الهموم، بتعاطف إنساني خالص، وبإحساس الانتماء الفعلي، ونواسي بعضنا بعضاً.

● اختلفت المآسي وقصص النجاة والغرق، فقد وجدت شابًّا فَقَدَ اثني عشر شخصاً من عائلته، وطفلة فقدت جميع أهلها الذين ماتوا غرقاً، كنا نحاول أن نخفف من معاناتهم، ونقدم الدعم المعنوي والنفسي، خاصة للأطفال، وقد تأثرت بقصة لأحد الشباب السعوديين، الذي قال: إنهم كانوا في إحدى الغرف الخاصة في الباخرة، هو ووالداه وأختاه، وعندما مالت الباخرة على جانبها الأيسر في طريقها للغرق، أصبح باب الغرفة في الأعلى، ولا يستطيعون الخروج إلا بمساعدة؛ بحيث يصعدون على ظهر أحدهم، يقول لي: «عملت أنا وأبي جاهدَين لإخراج أمي وأختيَّ، وبالفعل أخرجناهن، ولم يبقَ غيري أنا ووالدي، وحانت لحظة حاسمة بأن يخرج أحدنا ويضحي الآخر بنفسه، فقلت لأبي: «اخرج، ودعني أساعدك على الخروج».

ولكنه حسم الموقف بإصراره على خروجي، قائلاً لي:

«اخـرج أنت، ودعني أسـاعدك على الخـروج، وانتبه على أمك وأخواتك».

وعندما صـعدنا إلى السطح، وقفزنا إلى الماء؛ فإذا بأمي تفارق الحياة، ليس غرقاً ولكن ربما هلعاً وبتأثير الصدمة، ومن ثم وجدنا قاربـاً مطاطيًّا، فركبنـا فيه (القارب الذي ركب فيه سـعود)، كان يروي لي قصته، وهو يكاد يجهش بالبكاء.

● وآخر كان حظه أسعد حالاً، إذ تعلق بعمود خشبي كان يطفو على سـطح البحر، فظل متعلقاً به إلى أن تم إنقاذه، وأما الطفلة (آلاء) التي كانت بمفردها في سـفينة الإنقاذ التـي كنت فيها، فقد وجدت والدها، وبعضـاً من أسرتها الذين نجوا على ساحل مصر؛ حيث إن بعضـهم نجوا على سـواحل أخرى، وكان والدها رجلاً فاضـلاً، ولا نزكيه على الله، كما وجدت (حمود الشـامان)، وهو داعية فاضـل، وقـد نجا بعـد أن غرق القـارب المطاطي الـذي كان يحملهم، وبقي مُتمَـدّداً علـى ظهره في البحر؛ حتى جاءته سـفينة وانتشـلته، حيث نجا بفضـل الله، ولم يفقد سواكه ولا جواله طوال رحلة الغرق، وقد أصبحنا أصـدقاء، منذ ذلك اليوم في القرية السياحية التي غصّت بالعديد من الصور والحكايات والمشاهد المؤثرة.

وهناك قصص مختلفة للناجين من هذه الكارثة[١]، وهذه بعض منها:

(١) بعض قصص الناجين أوردها موقع إسلام أون لاين.

obeikandl.com

● يروي صالح أحد المصريين الذين يعملون في المملكة قصة نجاته، فيقول:

«تشبثت، ومعي ثمانية أفراد، ببرميل النجاة طيلة نحو ست عشرة ساعة في عرض البحر، وتوالى سقوط من معي واحداً تلو الآخر، بفعل برودة الجو، والأمواج المتلاطمة، إلى أن أصبحنا أربعة... وكلما وهنت قواي، وشممت رائحة الموت، تحديته لرؤية ولدي الذي بشرتني زوجتي في مصر بقدومه؛ إلى أن غمرني الله بفضله ونجاني، إنها نعمة كبرى من المولى، وسأظل أحمده عليها إلى أن ألقاه».

● وفي الوقت الذي نجا فيه صالح بحياته، فَقَدَت هبة (٥٠ عاماً)، ابنها الذي لم يتعدَّ عمره خمسة عشر عاماً في مشهد آخر جرت وقائعه بين الأمواج، وتروي قصتها، فتقول: «عشت في السعودية ما يقرب من عشرين عاماً، وسافرت ومعي ابني إلى القاهرة على متن عبّارة الموت لقضاء الإجازة والعودة».

وتابعتْ باكية: «بعد أن شبَّ الحريق في محركات العبّارة، طمأننا طاقم العبّارة، وقالوا لنا: لا تقلقوا سنخمده. وعندما ساءت الأمور بشدة أخذ الطاقم قوارب الإنقاذ، وتركونا على السفينة».

وأضافت: «اضطررت أنا وابني إلى القفز في عرض البحر، وأنا لا أجيد السباحة تماماً، وتعلقنا بلوح خشبي، وظللت متشبثة بيد

ابني، ودعوته للصمود ولذكر الله، غير أن قوة دفع الأمواج كانت أقوى منه، وأبعدته بعيداً عني إلى مكان الله وحده أعلم به. عزائي الوحيد أن آخر كلمة سمعته ينطق بها هي: يا ربّ».

● أما إسرار (١٨ عاماً)، فقد عبّرت في حديثها عن مشاعر امتزج فيها الفرح والحزن، وتروي قصتها قائلة:

«بعد استحالة البقاء في العبّارة، لم أجد أمامي سوى القفز في البحر، والتعلق بلوح خشبي طيلة أربع عشرة ساعة، من الساعة الثالثة ليل الخميس، حتى الساعة الخامسة عصر الجمعة».

ومضت تقول: «بعدها لم أستطع المقاومة أكثر، أو التشبث باللوح الخشبي، وشعرت بأن جسدي تجمّد تماماً، إلا من حركة اللسان الذي لهج بذكر الله ومناجاته... عندها لاح الأمل من حيث لا أدري».

«وجدت بجانبي قارباً مطاطيّاً عليه مجموعة رجال، فجذبوني إليه، بعدها ظهرت لنا في الأفق طائرة، ظننا فيها النجاة والأمل، لكن سرعان ما تلاشى الأمل، وابتعدت الطائرة عنا».

وبلهجة غاضبة تقول: «الغريب أن سفن الإنقاذ عادت إلينا بعد خمس ساعات كاملة من ظهور هذه الطائرة، فبقيت خمساً وعشرين ساعة يحيط بي الموت من كل جانب، وبرغم ذلك لم أيأس من رحمة الله، فوجدت نفسي أتمتم بلا توقف تقريباً: يا رحيم، ارحمني برحمتك».

● ياسر (٣٠ عاماً) قائلاً: «الحمد لله على الحياة، كما كنا سنحمده لو قابلنا وجهه الكريم».

وحول قصة نجاته قال: «في الحادية عشرة مساء الخميس لم يبقَ أمامي للنجاة إلا القفز من العبّارة، بعد أن أيقنا جميعاً أنها تحترق تماماً، فقفزت إلى مياه البحر، وتشبثت بقارب مطاطي، وقفز عليه ما يقرب من خمسة وعشرين فرداً، وظللنا فيه مدة أربع ساعات تقريباً، لكن مع الحمولة الزائدة على المركب، ومع الأمواج انقلب القارب في المياه، وفارق الحياة أمامي عشرة أشخاص».

واستطرد قائلاً: «لم أجد أمامي سوى لوح خشبي أمسكت به، وكان ذلك تقريباً في منتصف الليل، وظللت معلقاً بلوح الخشب إلى أن شاهدت من بعيد سفينة إنقاذ، علمت فيما بعد أنها هندية، فشرعت أسبح باتجاهها، ساعدني على ذلك إجادتي للسباحة، وقوتي البدنية، وقبلها وبعدها عناية الله وحده».

● وفاء (٢٢ عاماً) تقول: «ظللت متعلقة بالسفينة، وهي تغوص في المياه، حتى أصبحت ممسكة بآخر جزء يظهر منها، لحظتها جرفتني الأمواج، وأنا لا أعرف السباحة، فنطقت بالشهادتين، ووجدت حولي عشرات الناس يرددون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فرددت معهم، وأنا موقنة أننا في اللحظات الأخيرة من الحياة، وفي هذه اللحظة لمست يدي لوحاً خشبيّاً من حطام السفينة، فتعلقت به، وظللت أصارع الموت».

وتابعت: «بقيت أتخبط بين الجثث الطافية، بينما أسمع من حين لآخر نداءات استغاثة، من ركاب يرددون الشهادة، ثم يختفون في أعماق البحر، ولم أشعر بشيء بعد ذلك سوى بعد وصولي لمستشفى الغردقة...، لا أصدق أنني مازلت على قيد الحياة، لكن حياتي لن يكون لها قيمة قبل أن أعرف مصير والدي وأشقائي».

obeikandl.com

obeikandl.com

العودة
للأهل والوطن

الفصل الخامس عشر

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

بقينا في هذه القرية يومين ونصف اليوم، ومن ثم أعدّت السفارة حافلات اتجهت بنا إلى مطار الغردقة مباشرة صباح يوم الثلاثاء، ومنه مباشرة على طائرة خاصة إلى أرض الوطن، وكانت الرحلة سهلة، فلم نشعر فيها إلا بالشوق والحنين إلى أرض الوطن، وعندما حطت الطائرة في مطار الملك عبدالعزيز بجدة، وجدنا استقبالاً رسميًّا حاشداً أعده لنا رجال وزارة الداخلية، ووجدنا برنامجاً أعدوه أيضاً لنا من سكن وغذاء وتنقلات وتذاكر مجهزة لتأمين وصول كل فرد من القادمين إلى محافظته ومنزله، كانوا يملؤون ممرات المطار بهمة وحيوية، ويقدمون خدماتهم للجميع، كما وفروا الرعاية الطبية اللازمة لمن يريد أن يجري فحصاً طبياً أو من يريد أن يتلقى العلاج، الأمر الذي جعلنا نشعر بالأمان والاطمئنان في حضن الوطن، ذلك الشعور بالراحة والدفء الذي يثير في الإنسان السعادة.

كما وجدنا عدداً من الأقارب والأصدقاء ينتظروننا في مطار جدة، الذين كانوا يستقبلوننا بالأحضان ودموع الفرح.

من المطار تحركنا إلى شقة الرحاب بجدة، وكان رجال الداخلية قد وفّروا حجزاً مؤكداً لليوم اللاحق للسفر إلى مسقط الرأس

بيشة، ولما كان الأهل والعشيرة في بيشة يعيشون القلق الأكبر علينا؛ لـذا كان يتحتم علينا أن نسـارع في العـودة إلى (الديرة)، فبرغم تيقنهم من نجاتنا، وسلامة وصولنا إلى الوطن، حيث كانوا يتابعون أخبارنا خطوة بخطوة، إلا أنهم كانوا في شوق لأن يرونا بينهم؛ حتى تطمئن قلوبهم.

فشـددنا الرحـال إلى بيشـة، وما إن وصـلنا مطار بيشـة حتى وجدنا اسـتقبالاً حافلاً من قبل الأهل والأصدقاء، وتحولت منازلنا إلى سـرادق فرح كبير؛ حيث اسـتقبلنا الأهل والأقارب والأصدقاء بحفـاوة بالغة، وفرح كبـير بعودتنا، وأقامت أسـرتانا حفلين، على مـدار يومين متتالين، ابتهاجاً وفرحة بنجاتنا، وسـلامة العودة إلى الديـار، وفي هذيـن اليومين لبسـت قريتنـا ثياب العيـد، وتعطرت وتزينت، وهذه هي حلاوة مذاق الانتماء، وهو أن يشعر الإنسان بأنه محـل إعزاز وتكريم من أهلـه وولاة أمره، وأن هنـاك من يفرحون لفرحه، ويبتئسـون لكربه، وأن يشـعر بأنه ورقة تنتمي إلى شـجرة كبيرة، وقطرة في محيط كبير، وأنه جزء من كل.

انتهى -ولم يكد- برنامـج الأهل الاحتفالي، حتى دعانا لزيارته نائب أمير منطقة عسير حينها، صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ابن خالد بن عبدالعزيز آل سـعود، - الذي هو الآن أميرها-، حيث اسـتقبلنا سـموه بحفاوة وتكريم، وأخذ يسـألنا عن أحوالنا بعد أن هنأنا بالنجاة وسـلامة العودة، وحينها سـألني سـموه أن أطلب ما

أشـاء، فأجبته بأننـي أرغب في تغيير مكان وظيفتـي، وكان تحقيق هـذا الطلب من أكبر الأمـاني عندي، وكنت أسـعى لتحقيقه حثيثاً قبـل غرقـي في البحر، وهـا هو الآن يتحقـق بسـهولة، ولله الحمد والشكر، ولله الفضل، ثم بوقوف الأمير فيصل معي.

كمـا دعانا لزيارته سـعادة محافظ محافظتنا بيشـة، الأسـتاذ (محمد سـعود المتحمي)، واستقبلنا أيضاً بحفاوة وتكريم، ولمّا كان الحدث قد تصـدر الأخبار العالمية وقتها، لما بدأ يطفو على السطح من تساؤلات، وما يفوح من رائحة الفساد والإهمال، فقد قامت بعض القنوات الإخبارية بإجراء العديد من اللقاءات معنا، وسـألوني عن تفاصـيل تجربتي، بوصفي شاهد عيان معايشـاً للتجربة التي مات فيها ١٠٧٠ نفساً، ونجا منها ٤١٤ ناجياً.

obeikandl.com

obeikandl.com

موقف نبيل
للأمير محمد بن نايف

الفصل السادس عشر

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

في هذه الكارثة رجل له فضل -بعد الله- عليّ وعلى جميع الناجين السعوديين، وهو صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبدالعزيز آل سعود مساعد وزير الداخلية للشؤون الأمنية، الذي كان له في هذه الكارثة مع السعوديين وقفة سيبقى صداها في قلوبنا ما حيينا.

يروي لي شخصيًّا أحد الضباط (لواء في وزارة الداخلية)، أن سموه قد كلفهم بتشكيل فريق عمل، تم وضع جميع الإمكانيات تحت تصرفه، وتم تخصيص خط مباشر بين سموه وبين غرفة العمليات الخاصة بالتعامل مع الأزمة، وبوضع خط ساخن لمن أراد الاستفسار عن ذويه، ولمن له أقارب في العبّارة، كما أن سموه، عبر الخط المباشر، كان يتابع تطورات الأحداث بنفسه لحظة بلحظة، منذ أن غرقت العبّارة.

يقول اللواء: «بل إنه كلفنا بأن نتابع تجهيز طائرتي الإخلاء الطبي، وطائرة خاصة بالركاب، لنقل السعوديين إلى المملكة، وعندما أحس بأننا سنتأخر أعفانا من هذه المهمة، وقام بها بنفسه؛ خشية أن نتأخر، وكان لا يقول: (السعوديين) أو (الغرقى) أو (الناجين)؛ بل كان يقول دائماً: (عيالنا)».

obeikandl.com

وبالفعل فقد وجدنا من حرصه ما يجعل هذه الكلمة قولاً وفعلاً.

ويتابع اللواء قائلاً: «وكان حين يتأخر الوقت يخبرنا بأنه سيستريح قليلاً، على أن يتم الاتصال به على جواله الخاص في حال حدوث أي تطور جديد... وهكذا، وكنت لا أود الاتصال على جواله الخاص؛ خشية أن يكون نائماً، وخصوصاً عند ساعات الفجر الأولى»، يقول اللواء: «وعند الساعة الثالثة فجراً تقريباً، أرسلت له رسالة على الجوال، وما إن وصلت الرسالة إلى جوال الأمير، حتى سارع سموه بالاتصال بنا من فوره، حيث كان سموه حريصاً على متابعة الأحداث، والإجراءات بنفسه لحظة بلحظة».

يقول لي اللواء أيضاً: «كنا نرجوه أن يرتاح قليلاً من هذا الجهد المتواصل»، فكان يجيبهم: لن أرتاح حتى يعود كل سعودي إلى أهله، هنا في وطنه.

وظل سموه على هذه الحال من المتابعة حتى وصل السعوديون إلى المملكة». انتهى كلام اللواء.

وبالفعل عدنا جميعاً ولله الحمد والمنة إلى أحضان أسرنا، وتواصل معنا رجال الداخلية، حتى اتصلوا بنا في منازلنا بين أهالينا.

فجزى الله الأمير محمد بن نايف عنا خير الجزاء، وسنبقى أسرى لهذه الوقفة النبيلة، التي لا تستغرب من رجل عمّت أفضاله

عامــة أبنــاء الوطن، فتاريخ الأمــير في رعاية أبناء الوطن مشــهود ومعروف، يدركه القاصي قبل الداني.

كما يشهد على ذلك عمق إنسانيته رعايته للأيتام وأبناء شهداء الوطن، ويشــهد بذلك أيضــاً تنقله في أرجاء الوطن سفراً؛ ليواسي المئات من الأســر على فقدان أربابها أو أولادها، فتكاد تراه بينهم، وكأنــه واحد من هذه الأســر، المشــهد الذي اعتدنــاه، ولم يعد ذلك مســتغرباً على ســمو الأمير محمد، الأمير الإنســان. نســأل الله أن يطيل عمره، وأن يحفظه لنا، وأن يوفقه لما يحب، ويرضى.

obeikandl.com

obeikandl.com

من المسؤول عن الكارثة؟!

الفصل السابع عشر

obeikandl.com

obeikandl.com

سفينة الموت

لعل الإهمال بعد قضاء الله من قبل شركة السلام للملاحة، له سبب كبير في موت كثير من الضحايا غرقاً، وذلك لعدم إرسالها سفن إنقاذ سريعاً إلى عبّارة السلام، منذ اشتعال الحريق فيها، كما أنها عندما أرسلت سفن الإنقاذ لم تصل أولاها إلا بعد مرور اثنتين وعشرين ساعة من اشتعال الحريق، ما ساعد على زيادة الخسائر البشرية، كما أن رفض القبطان العودة إلى ميناء ضباء منذ اشتعال الحريق أسهم في هذا أيضاً؛ بل إنه أصر واستمر في المضي قدماً تجاه سفاجا، ولو أنه اتخذ قرار الرجعة لكانت مدة الساعات الخمسة التي قضتها السفينة سائرة، وهي تحرق كافية لعودة السفينة إلى محافظة ضباء وركابها سالمين.

ومن دلائل الإهمال والتواطؤ أيضاً: أن أول إنذار للغرق أتى من الموانئ الفرنسية صباح الجمعة، ولم يسبق ذلك أي بلاغ من قبل شركة السلام للملاحة، لا من السفينة قبل غرقها، ولا من ميناء سفاجا التي تشغله شركة السفينة نفسها، شركة السلام للملاحة.

كما أن هناك سؤالاً: لماذا رفض القبطان العودة إلى ضباء، واستمرّ في الإبحار بسفينة تحترق؟!

ألم يكن هناك اتصال بين القبطان وأصحاب الشركة في القاهرة، وغرفة مراقبة الملاحة في الموانئ؟!

كما أن عدم إنزال القوارب الخشبية، وبقاءها مربوطة بالسلاسل، وعدم أمر القبطان للملاحين بتوزيع الستر التي أخذها الركاب عنوة، وهروب القبطان في قارب صغير قبل غرق السفينة -حسب بعض شهود العيان- واختفاء القبطان بعد حادثة الغرق، وتسجيل اسمه ضمن المفقودين، وهروب مالك الشركة إلى بريطانيا، وبقاءه وعدم عودته إلى مصر، كلها مؤشرات ودلائل على وجود تواطؤ، ووجود أسرار وألغاز خلف غرق العبّارة السلام ٩٨.

وهناك سؤال من وجه آخر: أين قواعد الأمن والسلامة والاستعداد للحرائق والتفتيش على هذه السفن عند إعطائها تصريحاً بمزاولة الأعمال الخاصة بتحميل الركاب؟!

ولعلها الآن تعاد محاكمة المتورطين في هذه الكارثة، التي يظهر فيها الافتعال من أجل الحصول على تعويضات تأمين السفينة، التي أكد عدد من القنوات الفضائية أنها سفينة نقل مواشٍ، وأنها تالفة مشتراة من البرازيل، وأن هذه السفينة جاءت إلى مصر لـ (التكهين)، وتحويلها إلى (سكراب) خردة، وليس للعمل مرة أخرى.

كما أن مالك العبّارة ممدوح إسماعيل تم تهريبه بعد كارثة

العبّـارة علـى الرغـم من صـدور قرار بمنعه من السـفر ما يضـع علامات استفهام حول الجهات التي لها مصلحة في إخفاء الحقيقة.

كمـا أن كل الروايـات التـي وردت وقت غرق العبّارة، شـهادات دامغة عن الاسـتهتار، إضـافة إلى الطرق البدائيـة التي تمت فيها عمليات الإنقاذ والإسـعاف والتعامل الإعلامي مع القضية وتوصيل المعلومة إلى أسـر الضـحايا، تدل على التواطؤ أو الاستهتار بأرواح الناس على الأرجح.

ويشـير تقرير وثيقة ويكيليكس التـي تحمل رقم ٦ كايرو ٢٢٩٥٨ بتاريخ ٢٨ فبراير الساعة ٣, ٣٨ دقيقة، ونشرت في ١٦ يونيو ٢٠١١، تحمل شعار سري للغاية ومعنونة باسم: «مأساة السلام بوتشاتشيو البحرية».

وجاء في الوثيقة: كانت مأسـاة حقيقية حـاول نظام مبارك، بل مبارك نفسـه إخفاءها ووأد الحقائق فيها، مشـيرةً إلى أن السفير الأمريكي بالقاهرة فرانسـيس ريتشاردوني كان شاهداً على اللقاء السـري الذي جرى بين (هيوارد بيرمان) الممثل الرسـمي للرئيس الأمريكـي جـورج دبليو بوش الابن وعضـو الكونجرس المؤثر وبين الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك.

الزيـارة طبقاً للبروتوكول الدبلوماسـي يحرص أي سـفير على تدوين ما يجري فيها، ولم تكن تلك الزيارة بالشيء الشاذ من حيث تسجيلها، ولم يعرف أحد من أطراف الجلسة أنها يمكن في يوم من الأيام أن تخرج للنور.

وتبدأ الجلسة في وثيقة ويكيليكس التي فضحتها ببند واحد (ملخص) وفيها يبدأ ريتشاردوني في تسجيل البيانات، فيقول: «في هذه الجلسة المطولة التي حضرها عن الجانب الأمريكي (هيوارد بيرمان) في ٢٠ فبراير ٢٠٠٦ شدد الرئيس مبارك على رفضه أن مصر مسؤولة عن حادثة العبّارة السلام التي غرقت في ٢ فبراير ٢٠٠٦ بالبحر الأحمر خلال رحلة روتينية لها من ميناء ضباء السعودي إلى ميناء سفاجا المصري جنوب مصر».

ملحوظة أخرى يسجلها قلم ريتشاردوني، ويشير إلى أن جهود الإنقاذ قد أُعلن عن توقفها بشكل رسمي في ١٠ فبراير ٢٠٠٦ وقد تم إنقاذ ٣٨٨ شخصاً مع هذا التاريخ، وتم انتشال ٤٠٠ جثة من البحر، أما الـ٦٠٠ جثة الباقية فقد أُعلن أنها حالات مفقودة في البحر.

ثم كتب ريتشاردوني يسجل بقوله: «خلال الجلسة أخبر هيوارد بيرمان مبارك (سرًّا) أن المخابرات الأمريكية المركزية الـ(سي آي إيه) ومعها وزارة الدفاع البريطانية قد حصلوا علي أدلة اتهام مؤكدة في قضية العبّارة، ويشرح هيوارد لمبارك أن تلك الأدلة عبارة عن اتصالات صوتية وإشارات استغاثة صدرت من العبّارة قبل غرقها والتقطتها محطة التنصت التابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني في مدينة كينلوث في أسكوتلاندا».

ويستمر هيوارد في الشرح لمبارك سرًّا كما كتبوا: «في التسجيلات

يسمع مالك العبّارة السلام ممدوح إسماعيل يتحدث، ثم تسجل له مكالمات أخرى مع صفوت الشريف الأمين العام للحزب الوطني وزكريا عزمي رئيس ديوان رئيس الجمهورية ومع جمال مبارك نفسه».

يتوقف ريتشاردوني قليلاً، وهو يسجل بروتوكول الجلسة، ويكتب: «في خلال اللقاء حذر هيوارد مبارك من عواقب الغضب الشعبي العميق والحزن الشديد الذي انتاب الشعب المصري كله إذا تمكن أحد من الكشف عن تلك التسجيلات والاتصالات والملكية المشتركة للعبّارة بالتساوي بين الأربعة، كما وصفهم وكان يقصد بالقطع ممدوح إسماعيل، وصفوت الشريف، وزكريا عزمي، وجمال مبارك».

ثم يكتب ريتشاردوني مسجلاً الجلسة السرية، ويشير لملحوظة تفيد بأن الإفادة الرسمية التي أدلى بها وزير الدفاع البريطاني تثبت أن محطة القوات الجوية الملكية البريطانية في كينلوث بأسكوتلاندا قد رصدت كل شيء، بداية من الاتصال الخافت على تردد الطوارئ للعبّارة السلام، بداية من الساعة ١:٥٨ بتوقيت لندن، وكذلك رصدهم عدد ٥ مكالمات لاسلكية جرت بين الشركاء من تليفون ممدوح إسماعيل صدرت لكل من صفوت الشريف وزكريا عزمي وجمال مبارك، وهي الاتصالات والمعلومات المسجلة التي حللتها القاعدة الجوية البريطانية، ووجدت أنه من الضروري

نقلها للقاهرة، كي يتصـرفوا، خاصـة أن مالكي العبّارة صمتوا عن التصـرف، وتركوا العبّـارة تغرق بمـن عليها، دون إخـراج قوارب الإنقاذ فوراً من السواحل المصرية القريبة.

يكتـب ريتشـاردوني في نهايـة الفقـرة أن (مبـاركاً) لم يعجبه الحديـث عن المأسـاة، فقرر هيـوارد الانتقال للنقـاط اللاحقة في النقاش، ومـن ثم نجد المسـتند يكمل في أمور سياسـية شـتى بين البلدين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

obeikandl.com

الخاتمة

قضية غرق عبّارة السلام ٩٨ وما أثير حولها لا تزال في أروقة المحاكم، فبعد أن أقفلت جبريًّا في عهد الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، عادت الآن المحاكمة بشكل جدي بعد سقوط الرئيس المخلوع.

ولكن يبقى هناك ضحايا ماتوا، ولن تفيدهم نتيجة التحقيقات، ومعاقبة المتورطين في هذه الكارثة، فهم غادروا الحياة غرقاً، نسأل الله أن يكتبهم في الشهداء عنده، إنه العفو الكريم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

قال ﷺ: «**القتيل في سبيل الله شهيد، والمبطون شهيد، والمطعون شهيد، والغريق شهيد، والنفساء شهيدة**» صححه الألباني.

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره
تعددت الأسباب والموت واحد

هذا خير ما يمكن أن نقول لمن مات له قريب أو عزيز في كارثة السلام ٩٨، وإننا نتقدم لذويهم بالعزاء، وندعو الله أن يقبلهم في الشهداء عنده، وأن يجعل ما حدث لهم كفارة لهم، وعظة لغيرهم.

ونسأل الله تعالى أن يتولى أهالي الضحايا وأبناءهم، وأن يعينهم على الصبر على الأحزان، وعلى الألم الذي تسبب فيه هذا الحادث الأليم، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

أخيراً:

حاولت في هذه القصة أن أسرد كل ما مررت به في هذه الكارثة؛ لتكون قصة واقعية حقيقية، تجعل من يقرؤها يشعر كأنه كان معي في رحلة عبّارة السلام ٩٨، ولكن دون غرق ودون أن تتبلل ملابسه بمياه البحر على الأقل.

هذا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

obeikandl.com

محرر "عكاظ" بين ٢٦ ناجياً سعودياً و٨٠٠ مفقود تحت الماء

أيمن سمير (سفاجا) عطا الله المرواني (تبوك) وأس (الرياض)

عدد من الناجين الذين وصولوا ميناء سفاجة أمس وفي الاطار الزميل آل مشوط

عزا خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد الرئيس المصري حسني مبارك في وفاة ركاب السفينة «السلام٩٨» التي غرقت في البحر الأحمر أمس الأول. ووجه المليك بالتنسيق مع الأشقاء في مصر حيال عمليات البحث والإنقاذ، حيث توجهت إلى موقع الحادث فرقاطتان وسفينة إمداد من القوات البحرية الملكية، وكشف سعوديون من الناجين الـ٢٦ من الكارثة وبينهم محرر «عكاظ» الزميل محمد آل مشوط أن قبطان العبارة المصرية رفض العودة إلى ميناء ضباء أو إنزال قوارب النجاة زاعماً أن الحريق بسيط وستتم السيطرة عليه. وذكرت مصادر مصرية أن الآمال تتضاءل بشأن العثور على نحو ٨٠٠ مفقود. (التفاصيل ص٤-٦)

تعثر السفر جواً قاد الزميل آل مشوط للعبارة المشؤومة

سعيد آل منصور (جدة)

الزميل آل مشوط

محمد علي المعاوي او «محمد آل مشوط» زميلنا المحرر المتعاون بمكتب «عكاظ» في بيشة ساقته الاقدار ان يتجه من بيشة الى جدة ثم القاهرة لحضور ما تبقى من ايام في معرض الكتاب في القاهرة بصحبة صديقه سعود البيشي حيث غادرا من بيشه الى جدة وعندما وصل آل مشوط الى جدة ونزل في احد فنادقها حضر الى مقر الصحيفة وذلك يوم الاربعاء الماضي ليتابع بعض اخباره التي ارسلها من مكتب بيشة وللسلام على الزملاء عندما رأيته كان كعادته مبتسماً ومرحاً وخاطبني قائلاً «كيف الشعر الشعبي معك» وبعد ان كنت اتحدث اليه عن هذا الموضوع قاطعني قائلاً «ابغى احجز للقاهرة» وفعلاً حاولت الاتصال باحد الزملاء في الخطوط لتلبية رغبته ولكن صديقي موظف الخطوط لم يجب على اتصالي فتحدثت الى احد الزملاء بحثاً عن امكانية ايجاد حجز له على أي خطوط فقال لنا سأحاول وفعلاً قام زميلنا بالاتصال باكثر من شخص ولكن محاولاته باءت بالفشل فقد اعتذر موظفو الحجز لعدم وجود مقاعد شاغرة ولكنه اخذ نصيحة من احدهم بان يتم الحجز له للمملكة الاردنية «عمان» والبقاء بها خمس ساعات ومن ثم الذهاب الى القاهرة ولكنه رفض هذا العرض او الانتظار لاكثر من ثلاثة ايام اخرى في جدة حيث ان معرض الكتاب سيغلق ابوابه كما قال بعد ذلك غادر آل مشوط مقر الجريدة الى الفندق ويبدو انه قد قرر الذهاب الى ضباء جواً ومن ثم الذهاب بواسطة العبارة الى سفاجا وهو ماحدث فعلاً.. وفي ليلة الجمعة «صباح السبت» وبالتحديد الساعة العاشرة و ٣٥ دقيقة اتصل بي زميلنا عبدالله آل قمشة مدير مكتب «عكاظ» ببيشة وكان صوته على غير عادته تخنقه عبرة قائلاً هل لديك اخبار عن زميلنا محمد آل مشوط و قال ان محمد على متن العبارة التي غرقت في البحر الاحمر ولا نعلم ما هو مصيره بعد ذلك جال في فكري شريط يوم الاربعاء عندما جاءنا يبحث عن حجز واخذت اسأل عبدالله من قال لك ذلك؟ وكيف علمت؟ فقال لي: لدي معلومة اكيدة انه على متن هذه العبارة وبعد ذلك اقفلت الخط واتجهت اتابع القنوات الفضائية وعندما كانت قناة «العربية» تبث شريطا بارقام وضعتها وزارة الداخلية السعودية للاستفسار عن ضحايا هذه الكارثة وكانت الارقام «٩٩١» ورقم آخر «٠١٤٠٨٢٥٥٨» وقمت بالاتصال بالاخ عبدالله لابلاغه بذلك وكان على الجانب الآخر زميلنا عبدالله عبيان يستفسر ويحاول الاتصال بمن استطاع وهو من اكد لي المعلومة الحقيقية ان محمد على متن العبارة عن طريق الزميل عطا الله المرواني من تبوك.

وبينما انا اتأمل بعض المواقف وصلتني رسالة جوال من زميلي عبدالله آل قمشة تقول «بشرى محمد آل مشوط نجا بإذن الله، خبر عن القناة المصرية وننتظر بحول الله خبر نجاة سعود قول آمين» واصبحت ادعو لهم وللجميع بالنجاة وارسلت له رسالة لانني لم اعد استطيع الحديث معه فالوقت متأخر وقلت له «الله يبشرك بالخير ويبيض وجهك» وكان ذلك الساعة الخامسة فجراً و ٤٤ دقيقة وفي صباح يوم امس السبت تحدثت للزميل عبدالله آل قمشة الذي اكد ان محمد بخير وبصحة طيبة وقد اتصل على احد اقاربه وقد سافر عمه للقاهرة للوقوف على صحته وعندما سألته عن صديقه «سعود» قال هناك أنباء تقول انه نجا ونحن ندعو الله ان يكون ضمن الناجين من هذه الكارثة.

بلدي فرسان يبحث السياحة والاستثمار ومجلس ينبع ينعقد اربع مرات شهرياً

مجلس بلدي فرسان خلال الاجتماع

محمد السلمي (ينبع)، طه طوشي (فرسان)
تصوير: افتخار باحفين

عقد المجلس البلدي بينبع جلسته الطارئة امس الاربعاء ونوقش خلالها كافة المشاريع البلدية الجاري تنفيذها واهدافها وما انجز منها حالياً والمراحل المتبقية وحتى الانتهاء من تنفيذها. واضاف رئيس المجلس البلدي المهندس عبدالعالي بن علي الشيخ انه تقرر عقد المجلس كل يوم اثنين ليرتفع عدد اجتماعاته الى اربعة في الشهر. موضحاً ان المجلس بصدد انشاء موقع الكتروني على شبكة الانترنت يعرض فيه مهامه وخطط وكل ما يتعلق بالمجلس ولتلقى اقتراحات وشكاوى المواطنين.

مشيراً الى تخصيص مبنى مستقل للمجلس بمبنى البلدية الجديد المزمع انشاؤه على كورنيش ينبع وحالياً تم تخصيص مكتب داخل مبنى البلدية لتسيير امور المجلس حتي يتم الانتقال للمبنى الجديد.

وفي نفس العدد عقد المجلس البلدي بمحافظة فرسان جلسته الثالثة يوم الثلاثاء الماضي برئاسة وليد عبدالله مظفر بحضور رئيس بلدية فرسان وكافة الاعضاء. وناقش المجلس النقاط المدرجة على جدول الاعمال تركزت اغلبها في تطوير وتحسين المواقع السياحية واستغلال الفرص الاستثمارية المتاحة. واوضح الرئيس مظفر حرص المجلس على ابراز المواقع السياحية والاستثمارية بفرسان كونها تستحق الاهتمام فالشواطئ ذات مياه زرقاء صافية ورمال ذهبية غاية في الجمال وهي بحاجة ماسة للخدمات الاساسية والمشاريع الاستثمارية ليتم الاستفادة منها.

نائب امير عسير يستقبل الناجين من حادثة العبارة

سعيد الزهراني (ابها)

استقبل صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن خالد بن عبدالعزيز نائب امير منطقة عسيرصباح امس في مكتبه بالامارة الناجين من حادث غرق العبارة المصرية الزميل محمد آل مشوط المحرر بمكتب «عكاظ» ببيشة وسعود مترك المعاوي.

وحمد سموه الله على السلامة»

واستمع الى شرح منهما عن اللحظات العصيبة التي عاشاها من بداية غرق العبارة وحتى وصولهما الى بر الامان.

وقال سموه ان ما حدث يشعرنا بعظمة الله وقدرته سبحانه الذي يستحق الحمد والثناء على سلامتكما واشار سموه الى انه على استعداد لتوفير كل ما يحتاجانه.

من جهته شكر محمد بن سعود المتحمي محافظ بيشة المكلف الامير فيصل بن خالد على استقباله الناجين ورعايته لهما. وعبر باسمه ونيابة عن الناجين واسرتيهما واهالي محافظة بيشة عن تقديره العميق لهذه اللفتة الكريمة من سموه.

نائب امير عسير خلال استقباله الناجين

اول سعودية متخصصة في النقل البحري لـ "عكاظ":
غياب الضمير الملاحي ونقص الخبرة وراء كارثة السلام ٩٨

حامد عمر العطاس (جدة)

عزت اول سعودية متخصصة في اقتصاديات النقل البحري د. عبلة عبدالحميد البخاري كارثة العبارة (السلام٩٨) المنكوبة الى غياب الضمير الملاحي ونقص الخبرة في مواجهة الحوادث والتهاون والبطء والتأخير في اتخاذ مايلزم حتى فيما يتعلق بالارواح البريئة. وقالت ان غرق العبارة ٩٨ لم يكن اول الحوادث التي شهدها البحر الاحمر من جنوح او تصادم لكنه كان اشدها فقدا.

واوضحت ان الحادثة المؤلمة تستدعي العمل لتلافي احتمال حدوث مثلها مستقبلا او تقليل المخاطر المترتبة عليها، وهوواجب انساني ووطني ويتطلب وضع خطط متكاملة لادارة الكوارث البحرية وكيفية تلافيها او التقليل من اخطارها وعدم التهاون او التساهل في اي من اجراءات وقواعد السلامة والامن البحري، وايجاد القنوات المناسبة لتبادل الخبرات والمعلومات بين الجهات في المملكة والدول الاخرى للنهوض بالصناعة البحرية.

وتساءلت د. عبلة عن اسباب تدهور سفن الركاب في منطقتنا العربية الى هذا الحد؟ واضافت ان السفن العاملة بين موانئ مصر كالسويس والسفاجة وبين المملكة في جدة وينبع وضباء، تقلصت عددا وجودة لعدة اسباب اهمها الكثافة الرأسمالية المالية للمشروعات البحرية، ارتفاع التكاليف البحرية، طوال فترة استرداد ورأس المال، رغبة الشركات في الربح السريع. وابانت انه من المؤسف الا نمتلك اسطولا بحريا لنقل الركاب في وقت ان السياحة تمثل جزءا من استراتيجيتنا كما ان لنا مكانتنا الاقتصادية والموقع الجغرافي وقالت (الدولة اولت جل اهتمامها للنهوض بقطاع النقل البحري الذي شهد تطورا كبيرا خلال العقود الماضية، الا ان هذا القطاع الحيوي الهام يشهد العديد من القضايا الاساسية التي تتفاقم مع تسارع الزيادة في حركة التجارة العالمية. واضافت انه يجب الاستفادة من سواحلنا البحرية في تنشيط جميع الخدمات البحرية لكافة الوسائط ومن ابرزها سنن ركاب عالية في الجودة لنقل حجاج بيت الله الحرام، توطين الخبرات واعداد الكوادر والارتقاء بمستوى المهارات تعليما وتدريبا، طرح مشاريع استثمارية.

نجل صاحب شركة السلام:
مليونان خسائرنا اليومية بعد التوقف.. والتعويضات ٤٠ مليون دولار

سيد عبدالعال (القاهرة)

أكد نجل صاحب شركة السلام المالكة للعبارة المنكوبة المهندس عمرو ممدوح اسماعيل ان «السلام ٩٨» ليست متهالكة ولم تخصص لنقل الماشية ولا يقف وراء صاحب الشركة اي مسئول مصري «في اشارة للمحسوبية للتغاضي عن السلبيات». وقال ان شركات التأمين لا يمكن لها ان توافق على عبارة متهالكة كما يزعم البعض مشيرا الى ان سبب خروج العبارة من المياه الاوروبية لتشغيلها في البحر الاحمر بعد اغسطس ٢٠٠٤م يتعلق باقتصاديات التشغيل واضاف ان العبارة كانت تعمل قبل تلك الفترة نصف عام في اوروبا «الشتاء» والنصف الثاني في البحر الاحمر وكل الشهادات تثبت ذلك. وابان ان الشركة منذ انشائها عام ١٩٧١م كانت مملوكة للشركة الايطالية الحكومية «ترينيا» وهي التي نفذت طابقين الاول عام ٩١ والثاني في عام ١٩٩٨م.واوضح ان العبارة لم ينته عمرها الافتراضي وليست ممنوعة من السفر مشيرا الى ان سبب رفع العلم البنمي عليها ان القانون المصري يمنع تسجيل اي سفينة يزيد عمرها عن ١٥ عاما وقت التسجيل رغم ان القانون لا يمنع عمل العبارات التي يزيد عمرها عن ذلك والدليل ان السلام «٨٩» التي تحمل العلم المصري كان عمرها وقت التسجيل اقل من ١٥ عاما والان مازالت تعمل. واشار المهندس عمرو الى ان العبارة كانت تحوي وسائل انقاذ تكفى «٢٢٠٠» راكب وليس ١٤٠٠ فقط ممن كانت تحملهم العبارة وقت غرقها حيث هناك ١٠ قوارب تسع كل واحدة ٨٩ راكباً، ٨٨ رماثا يسع كل منها ٢٥ راكباً. واستغرب عن استخدام القبطان اشارات الاستغاثة وعدم استعمال الركاب وسائل الانقاذ «لكن التحقيقات والصندوق الاسود» سيكشفان ذلك.

ونفى ان تكون الشركة منعت القبطان من العودة لميناء ضباء خوفاً من دفع الغرامة او الاستعانة بسفن اخرى لتلافي دفع ٥٠٪ للانقاذ وقال سندفع الآن ٤٠ مليون دولار تعويضات واي غرامة آنذاك لا تساوي ٥٪ من اجمالي ما سندفعه الآن. وشدد على ان الشركة التزمت بالتعويضات في الحادثتين السابقتين بل ان حادثة العبارة «٩٥» التي توفي فيها اربعة ركاب صدر حكم انجليزي لصالحنا بنسبة ٦٦٪ ومع ذلك دفعنا التعويضات. وقال المهندس عمرو ان اجهزة الرش المائي من اساسيات الاطفاء بالنسبة للمكان الذي حدث به الحريق وهو جراج العبارة. واشار الى الشركة تخسر الان حوالي مليون جنيه يومياً نتيجة عدم حمل سفنها وعباراتها وتسود العاملون حالة من الاحباط بل ان بعضهم اصيبوا بصدمات نافياً عدم تأهيل العاملين وقال ان طاقم العبارة من خريجي الاكاديمية البحرية وليسوا ضعافاً في الامكانيات وحاصلين على اعلى المرتبات.

العبارة المنكوبة

مسار بديل في الاحساء وتأمين ٢٠٠ عربة للحاويات
٧٣٠ مليونا للخطوط الحديدية ونظام آلي لمتابعة حركة القطارات

محمد عضيب (الدمام)

اعتمدت المؤسسة العامة للخطوط الحديدية امس ميزانيتها للعام المالي الجديد ١٤٢٦/١٤٢٧ بـ٧٣٠,٥ مليون ريال وانشاء نظام آلي للاشارات والاتصالات لتنظيم حركة سير القطارات وانشاء المسار البديل بمحافظة الاحساء لنقل حركة القطارات الى اطراف المحافظة وتسهيل حركة العمران في مدينة المبنى كذلك تأمين قطارات ركاب حديثة و٢٠٠ عربة شحن مزدوج للحاويات.

وناقش مجلس ادارة المؤسسة العامة للخطوط الحديدية في اجتماعه «الاول» للعام المالي الجديد برئاسة وزير النقل رئيس مجلس ادارة المؤسسة الدكتور جبارة الصريري في مقر المؤسسة بالدمام عدة موضوعات مدرجة على جدول الاعمال واتخذ بشأنها القرارات المناسبة.

يذكر ان المؤسسة حققت قفزة ملحوظة في انجازاتها في العام المالي المنصرم حيث ارتفع عدد الحاويات المنقولة الى ٣١٥ الف حاوية نمطية في الوقت الذي بلغ عدد الحاويات المنقولة لعام ١٤٢٤/١٤٢٧هـ ٢٨٠ الف حاوية فيما بلغ عدد الركاب مليون و٢٢٨ راكب بنسبة ارتفاع ٩٤ ٪ عن العام الذي سبق بينما حققت المؤسسة ايرادات بلغت ٢٩٥ مليون ريال بزيادة نسبتها ٢٠٪ عن عام ١٤٢٤/١٤٢٥هـ.

واوضح مصدر في المؤسسة العامة للخطوط الحديدية انه لا يمكن خصخصة المؤسسة مؤكداً ان هناك فرقاً كبيراً بين خصخصة الخدمات المقدمة في الموانئ وادارتها وتشغيلها وبين خصخصة المؤسسة للموانئ نفسها.

جانب من الاجتماع

اسرته تلقت رسالة جديدة منه عبر "الاحمر"
الضبعاني المعتقل السعودي بالعراق يتطلع للافراج عنه

عبدالله السعيدي (حفر الباطن)

تلقت اسرة الشاب السعودي المعتقل في سجن ابوغريب بالعراق سليمان ظاهر الضبعاء رسالة جديدة منه عبر الصليب الاحمر.

وقال الضبعاني في الرسالة التي حصلت «عكاظ» على نسخة منها انه بصحة جيدة ويتمنى الافراج عنه ليعود الى وطنه واهله بعد ان قضى عامين في السجن العراقي مشيراً الى ان عيد الاضحى المبارك الماضي هو خامس عيد يقضيه بالسجن.

كما ان صديقه ثامر البليهد المعتقل معه في سجن ابوغريب بصحة جيدة.

وطلب من والده ارسال بعض الكتب الدينيه له عبر الصليب الاحمر واوصى اخوانه بطاعة والديهم وارضائهما.

من جانبه ناشد ظاهر الضبعاني والد «سليمان» السلطات السعودية المعنية بالعمل على اطلاق سراح ابنه من سجنه مشيراً لـ«عكاظ» ان ابنه كان طالباً بجامعة الامام محمد بن سعود بالرياض حينما اعتقل على الحدود السعودية- العراقية من قبل سلطات الاحتلال الامريكي في شهر رمضان عام ١٤٢٤هـ مع اصدقائه ثامر البليهد وابراهيم ظاهر وخليف دغيم الذي افرج عنه من سجن ابوغريب قبل حوالى شهرين.واشار الى انهم كانوا يقومون بشراء اغنام من عراقيين على الحدود عندما القى القبض عليهم. وقال ان زوجته «والدة سليمان» تعاني من عدة امراض وظروف نفسية سيئة وتبكي كلما ذكر اسمه.

صورة ضوئية لرسالة سليمان لاسرته

الاب وحزنه على الابن الغائب

الطالبات والمعلمات توقفن عن الحضور.. والتعليم: بدأنا البحث عن البديل
لجنة ثنائية تؤكد سلامة مبنى ثانوية المثناة انشائيا وتوصي بخفض عدد الطالبات الى النصف

متابعة وتصوير: عبدالهادي الربيعي (الطائف)

شكلت ادارة التربية والتعليم بالطائف لجنة عاجلة مكونة من ادارتي التعليم والدفاع المدني وعدد من المهندسين للوقوف على وضع الثانوية الثالثة عشرة للبنات في حي المثناة بالطائف عقب توقف طالباتها ومعلماتها عن الحضور واخلاء المديرة مسؤوليتها برفع خطاب لمدير التعليم تشير فيه الى تعرض المدرسة لاهتزازات متتالية بسبب مرور الشاحنات الكبيرة بجوارها مما تسبب في سقوط بعض مقتنياتها وادخل الرعب والهلع في نفوس الطالبات والمعلمات اللاتي امتنعن عن الحضور للمدرسة لليوم الثاني على التوالي.

وكشف سالم بن هلال الزهراني مدير التربية والتعليم بالطائف لـ«عكاظ» ان تقرير اللجنة أشار الى سلامة المبنى من الناحية الانشائية عدا بعض الملاحظات المتعلقة بالسباكة والكهرباء. واضاف ان اللجنة اوصت بتقليص عدد الطالبات من ٤٠٠ الى النصف تبعا لامكانيات المبنى مبينا ان الطالبات سيخيرن بين البقاء في المدرسة او الانتقال على وجه السرعة الى المدرسة ٣٦ بنفس الحي لمواصلة دراستهن اعتبارا من يوم السبت القادم، كاجراء مؤقت لحين ايجاد مبنيين بديلين للمدرستين ١٣ و٣٦ وفق توصيات اللجنة.

ونفى الزهراني ما تردد حول تمسك ادارته بالمبنى في اشارة لرجوعه الى قريب احدى مسؤولات التعليم بالطائف مشيرا الى صدور اعلان الادارة بالبحث عن مبنى بديل قريبا.

واوضح ان سلامة الطالبات لا يمكن التساهل بها وايا كان المسؤول ويثبت تلاعبه ستتخذ بحقه الاجراءات مؤكدا عدم وجود ما يعزز هذه الاقاويل.

من جهته أوضح مدير ادارة الدفاع المدني بالطائف العقيد محمد بن رافع الشهري ان ما تداولته بعض الصحف عن تهالك مبنى الثانوية الثالثة عشرة للبنات بالطائف ووجود تصدعات به تنذر بكارثة سقوط على الطالبات عار من الصحة مشيرا الى ان تقرير المكاتب الهندسية وضباط السلامة بادارة الدفاع المدني والمشاركة بلجنة ادارة التعليم بهذا الخصوص افادت بسلامة المبنى انشائيا ولا وجود لأي شروخ او تصدعات.

واضاف سيتم مخاطبة شركة موبايلي للاتصالات لاتخاذ كافة تدابير السلامة لتلافي اي مخاطر تنتج عن برج الجوال المجاور لمبنى المدرسة.وطالب الشهري بضرورة توخي المصداقية في تناول الاخبار ومطمئنا بناتنا الطالبات بامكانية مباشرتهن الدراسية في المبنى الذي اوصت التقارير الصادرة من اللجان المختصة بسلامته الانشائية.

برج الجوال المجاور للمدرسة

طلابها تغيبوا عن الحضور أمس
اغلاق مدرسة أبي فراس الحمداني بنجران

محمد الأحمدي (نجران)

اغلقت ادارة التربية والتعليم بمنطقة نجران مدرسة ابي فراس الحمداني الابتدائية مما اضطر ٣٧٦ طالبا من قبيلة الحرث للتغيب عن الحضور أمس الاربعاء. واوضح مدير عام التربية والتعليم حسن بن احمد القربي ان اغلاق المدرسة يأتي ضمن خطة الوزارة لتقليص المباني المستأجرة والتعويض بمدارس حكومية حديثة وفق طراز تعليمي واكاديمي.واضاف القربي ان الوزارة وافقت قبل ثلاثة أعوام على عدة مشاريع تعليمية بالمنطقة من ضمنها مدرسة ابي فراس الحمداني بتصلال وان الموقع المخصص خضع للدراسة التمحيصية أخذ فيها التوسع العمراني مستقبلا بعين الاعتبار، واشار الى ان المدرسة المستأجرة التي رغبت القبيلة بدراسة ابنائها فيها تفتقد للمعامل والمختبرات والمسارح.

وأوضح مدير المدرسة احمد آل هاشم ان عدد المعلمين في المدرسة المستحدثة ٣٤ معلما فيما عدد الطلاب لا يتجاوز ٨٠ طالبا.

اخلاء فوري لابتدائية الوسيعة ونقل الطلاب للدراسة المسائية

عوض الشتيلي (المجمعة)

حسمت وزارة التربية والتعليم أمس مصير طلاب مدرسة الوسيعة الابتدائية بمحافظة الغاط، وقررت اخلاؤهم من المبنى، ونقلهم للدراسة في الفترة المسائية بمبنى المدرسة الثانوية.

وتلقى مدير المدرسة ناصر العضيدان امس خطاب الاخلاء الفوري. وكانت مجالس المحافظة روجت خلال اليومين الماضيين شائعات حول عدم تحمل اساسات المدرسة التي يعود انشاؤها الى قبل ٢٠ عاما وهو ما نفاه الاشراف التربوي وأكدت الوزارة ان هناك لجنة ستقف على وضع المبنى وصلاحيته.

وقال العضيدان ان الدراسة المسائية لها سلبياتها لكننا سنحاول عدم تأثير ذلك على مستوى استيعاب الطلاب للمناهج موضحا ان مبنى ابتدائية الوسيعة يضم مدرستين فهناك ابتدائية تحفيظ القرآن الكريم و رفعت معاملة للوزارة لتوفير مبنى منفصل لهم، يذكر ان «عكاظ» نشرت أمس الأول شائعة عدم صلاحية اساسات المبنى.

نائب امير عسير يستقبل الناجين من حادثة العبارة

نائب امير عسير خلال استقباله الناجين

سعيد الزهراني (ابها)

استقبل صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن خالد بن عبدالعزيز نائب امير منطقة عسيرصباح امس في مكتبه بالامارة الناجين من حادث غرق العبارة المصرية الزميل محمد آل مشوط المحرر بمكتب «عكاظ» ببيشة وسعود مترك المعاوي.

وحمد سموه الله على السلامة»

واستمع الى شرح منهما عن اللحظات العصيبة التي عاشاها من بداية غرق العبارة وحتى وصولهما الى بر الامان.

وقال سموه ان ما حدث يشعرنا بعظمة الله وقدرته سبحانه الذي يستحق الحمد والثناء على سلامتكما واشار سموه الى انه على استعداد لتوفير كل ما يحتاجانه.

من جهته شكر محمد بن سعود المتحمي محافظ بيشة المكلف الامير فيصل بن خالد على استقباله الناجين ورعايته لهما. وعبر باسمه ونيابة عن الناجين واسرتيهما واهالي محافظة بيشة عن تقديره العميق لهذه اللفتة الكريمة من سموه.

موبايلي... عالم من اختياري
mobily.com.sa
موبايلي

«عكاظ» ترصد من داخل الطائرة والمطارات ملامح الفرح والحزن على وجوه الناجين

وجدها الدموع تواسي الطفلة هلا بعد فقد اسرتها

عناق خضبته الدموع بين الناجين وذويهم

تصوير: علي بدير

عناق حميم يبدد قلق ايام الكارثة

لم يجد الراحة الا على كرسي الطائرة

جمال فرحا بنجاته

الطفل محمد حسن الذي فقد والديه واشقاءه في الكارثة

الجريوع يروي لحظة قصص الانقاذ اثناء الغرق

الزميل آل مشوط وصديقه في مطار الغردقة

ناجون تنفسوا الصعداء لنجاتهم من مأساة العبارة